الهند في أدب الرحلات العربية والغربية

الرحالة فلرتيما ([illegible]-[illegible]هـ/[illegible]-[illegible]م) نموذجًا

صاحب عالم الأعظمي الندوي*

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته، واتبع هداه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فمن المعلوم تاريخيًا أنَّ كتابات الرحالة ومذكراتهم تعتبر من الأدب الراقي، إذْ أنه يعكس أوضاع البلدان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي زارها الرحالون، ومن هنا يشكل هذا النوع من الأدب الوسيلة الأكثر قدرة على رصد مشاهدات الرحالة لمختلف جوانب الحياة والطبيعة وتوثيقها بالكلمة والوصف من خلال رؤية الرحالة لها، هذه الرؤية التي يفترض فيها الحياد نحو الظواهر حين وصفها، ولكنها غالبًا ما جاءت مفعمة بمشاعر الرحالة وهذا ما جعلها مؤثرة في أسلوبها وممتعة في تفاصيلها، كما أنها توثق المواقف والعادات والسلوكيات التي تبدو عادية لدى السكان المحليين في حين هي غاية في الأهمية في دراسة تطور هذه الأنماط الثقافية وكذلك في الدراسات المقارنة لعادات وقيم وتقاليد الشعوب وثقافاتها، وعلى هذا النحو يوفر الرحالة مادة علمية قيمة للدراسات الاجتماعية والانثربولوجية لمن سيأتون من بعدهم من الباحثين والدارسين.

وقد شكلت الأهمية الجغرافية والتاريخية لموقع شبه القارة الهندية على الخارطة العالمية أحد أهم العوامل التي دفعت كثيرًا من الرحالة العرب والغرب لزيارتها [1]، فكان الرحالة العرب قد برعوا في هذا

---

* باحث في مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، الدوحة، قطر.

١ – من المعلوم تاريخيًا أن الرحلات العربية إلى شبه القارة الهندية بدأت قبل التاريخ ومرت بالعصر الجاهلي والإسلامي على التوالي؛ وذلك في إطار التجارة المتبادلة بين العرب والهند، حيث المناطق العربية الساحلية قامت عبر العصور=

النمط من الأدب، ودونوا لكثير من البلدان ثقافاتها وعاداتها وطبيعتها، وبذلك قدموا مادة مهمة لمن جاء من بعدهم من الدارسين على مدى قرون، ومن ثم فهؤلاء لم يعد ينظر إليهم كمحترفين ومبدعين في التاريخ والأدب فحسب؛ بل كعلماء رحلات عظام. ثم جاء دور الرحالة الغربيين الذين وفروا المعلومات المفيدة من خلال تدوين أعمالهم التاريخية والجغرافية للدول الغربية، التي كانت تتكالب على ثروات الهند منذ أمد بعيد، للغزو والاستعمار التجاري والاقتصادي ثم السياسي، فكانت رحلة واسكو دي گاما إلى الهند نذيرًا بتحريك أساطيل البرتغال والأسبان نحو بلدان الشرق ، وقد عمل كثير من الرحالة الفرنسيين والبريطانيين والألمان والبلجيك والهولنديين على تمهيد الطريق التجاري في القرن الخامس والسادس والسابع عشر إلى أن استقرت هذه الدول من خلال شركاتهم التجارية ما أعطى الفرص فيما بعد لاستعمار شبه القارة الهندية.

هذا، وسيقتصر هذا البحث على دراسة الرحالة فارتيما الجاسوس إيطالي الجنسية الذي زار الشرق الأوسط (مصر، الشام، الحجاز، اليمن، وفارس) ثم دخل إلى الهند واستقر فترة طويلة من رحلته إلى أن عاد إلى أوربا، وبدأ رحلته الجاسوسية في عام 908هـ/ 1503م على حساب الدولة البرتغالية التي كلفته أن يكتشف الطرق البرية المؤدية إلى الدول العربية والفارسية عمومًا والهند خصوصًا، وهي الفترة نفسها التي أرسلت الحكومة البرتغالية على نفقتها الخاصة الرحالة البرتغالي واسكو دي گاما الذي بدأ رحلته البحرية واكتشف طريقًا جديدًا بعد الدوران حول القارة الأفريقية إلى أن وصل منطقة "كالي كت" الجنوبية الواقعة في الهند عام 903هـ/ 1498م.

= بدور الجسور التجارية بين الهند وبين بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس ومصر وغيرها، ومن هنا رحل كثير من الرحالة العرب إلى المناطق الهندية ومكثوا هناك وسجلوا ما وجدوا من العجائب والغرائب، ومن رواد هؤلاء الرحالة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة (ت 250هـ/ 864)، وسليمان التاجر (ت 237هـ/ 851م)، وأبوزيد السيرافي (ت 264هـ/ 878م)، وأبو دلف مسعر بن مهلهل الينبوعي (ت 331هـ/ 943م)، بزرگ بن شهريار (ت300هـ913م)، والمسعودي (ت303هـ/ 915م)، والإصطخري (ت340هـ/ 951م)، وابن حوقل (ت358هـ/ 969م)، والبشاري المقدسي (ت 375هـ/ 985م)، والبيروني (ت 400هـ/ 1010م)، ثم الرحالة النابغة ابن بطوطة (ت 779هـ/ 1377م)، علمًا أن هؤلاء الرحالة زاروا الهند في فترات تاريخية مختلفة وقدموا المعلومات والمعارف الهائلة لتسجيل تاريخ الهند السياسي والحضاري عبر العصور، وبجانب ذلك هناك عدد لا بأس به من الرحالة الذين دونوا تاريخ الهند السياسي والحضاري معتمدًا على الرحالة المذكورين أعلاه.

وتجدر الإشارة إلى أنه إذا كان مهمة الرحالة دي گاما قد انتهت باكتشاف الطريق البحري للهند، فإن مهمة فارتيما كانت أكثر تعقيدًا وأهمية، حيث كان مكلفًا بتسجيل ووصف دقيق لعادات وتقاليد الشعوب العربية التي يمرّ بها في طريقه للهند، وللهند نفسها، وكتابة تقارير خاصة لكل كبيرة وصغيرة عن الأوضاع السياسية والعسكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والزراعية.

أهمية البحث:

سيدرس هذا البحث أعمال رحّالة لم يدرس من قبل في اللغات الشرقية بصورة عامة، مع وجود أهمية بالغة لما وصف هذا الرحالة الأوضاع الحضارية الهندية بكل تفاصيل، وكذلك عمله هو المصدر الوحيد للمعرفة عن هذه الرحلة، كما أنه يعد أول رحالة زار الأماكن المقدسة بما فيها مكة والمدينة، بجانب ذلك نجد التباين والأوصاف والتعليقات في تصوراته عما سجلها نظيره واسكو دي گاما في رحلاته؛ وذلك لأن طبيعة عمله مختلفة عن سلفه. وتكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة بالنظر إلى الجوانب التالية:

1- أهمية رصد تاريخ المظاهر الحضارية التي دوّنها الرحالة فلوتيما.

2- رصد القيم والعادات والتقاليد ، وبالتالي الوضع الأنثروبولوجي للفترة الزمنية التي وثّقها الرحالة فارتيما.

3- مع أنَّ الرحالة فارتيما لم يتجول داخل الهند كلها، إلا أَنَّ ما دوّنه يساعد الدراسة على رصد أنماط الإنتاج، ومختلف النشاطات السكانية في تلك الفترة، مما يشكل قاعدة معلومات مهمة للدراسات حيث يتناول عمله مختلف جوانب الحياة في شبه القارة الهندية خصوصًا في الهند الجنوبية.

الهدف من البحث:

نظرًا لأهمية دراسة المظاهر الحضارية الهندية في أدب الرحلات، تهدف هذه الدراسة إلى توضيح أسباب الرحلات العربية والأوربية إلى شبه القارة الهندية خصوصًا، والشرق عمومًا، مع الإشارة إلى ذكر الرحالة العرب الذين زاروا الهند في فترات مختلفة مع تباين أهدافهم، ثم ستحاول هذه الدراسة إبراز الظروف السياسية والاقتصادية والدينية الأوربية حول ما قامت به من إرسال الرحالة إلى الشرق عمومًا والهند خصوصًا، مع التركيز الخاص على رحلة فارتيما من خلال عمله الذي نشر في إيطاليا عام 915هـ/ 1510م، أي بعد عام واحد من عودته من الهند عام 914هـ/ 1509م، ونظرًا لأهمية هذا العمل فقد أعيد طباعته في عامي 1517، 1518، 1535، 1563، 1589م هذا، وقد ظهر له أول ترجمة لاتينية

في ميلان عام 1511م. وستتناول هذه الدراسة ما قام به هذا الرحالة من وصف وتدوين للمظاهر الحضارية الهندية من السياسة والاقتصاد والتجارة والزراعة والجوانب الدينية والاجتماعية ، وما يتضمنه من عادات وتقاليد وجوانب ثقافية وغيرها.

منهج البحث:

وقد اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج الموضوعي والتحليلي ، وأيضًا الوصفي الاستقرائي التاريخي في بعض الأحيان لدى الحاجة إليه. هذا، وسيتضمّن البحث النقاط التالية:

1- تعريف موجز حول بداية الرحلات إلى الهند.

2- تعريف موجز بالرحالة العرب والغربيين الذين زاروا الهند ما قبل فترة البحث.

3- تعريف بالرحالة فارتيما وعمله التاريخي.

4- نتائج البحث.

أولًا: بدايات الرحلات إلى الهند

لقد أصبحت عملية البحث عن المعرفة واكتشاف المناطق الجديدة رغبة شديدةً ومألوفةً لدى العرب للحصول على المعارف الجديدة عن الشعوب والأراضي النائية، وذلك من خلال النشاطات التجارية والاقتصادية، وكانت الهند من أكثر الدول التي ارتبطت بالصلات التجارية والاقتصادية مع العرب منذ بداية عملية الرحلات والاكتشافات، حيث كانت المناطق العربية تقوم بدور وسيط في توصيل التجارة الهندية مع الدول ما بين النهرين ومصر الفرعونية وفارس، خصوصًا في عصر حضارة وادي السند ما قبل التاريخ [٢]، وتؤكد على هذه الصلات التجارية نقوش اللغة العربية وعلاماتها في المسلات

٢- حضارة وادي السند التي تم العثور على بقايا مثيرة من آثارها في منطقة "موهنجدارو Mohenjo-daro" الواقعة في منطقة السند، و"هريا Harappa" الواقعة في منطقة البنجاب الغربية، هي الصورة الأقدم التي بحوزتنا عن حضارة الهند القديمة، والتي تطورت بواسطة جماعات كانت تمارس الزراعة والرعي وعملت بعضها مع بعض بالتجارة، وتقريبًا في عام 2500 ق.م أصبحت هذه الجماعات أكثر اتحادًا من حيث الاجتماع والعمران، حيث قامت بإنشاء المدن المخططة مما يترتب على ذلك أن هذه الحضارة استغرقت آلافا من السنين حتى وصلت إلى ذلك المستوى العالي من الحضارة، ولم تكن حضارة وادي السند تضاهي حضارات العالم القديمة من بلاد فارس وما بين النهرين ومصر الفرعونية فحسب؛ بل كانت متواصلة معها من خلال إيجاد العلاقات التجارية عبر المناطق الخليجية العربية الوسيطة، حول التفصيل راجع:

Jawaharlal Nehru, *The Discovery of India, Sixth Impression 1988*, Delhi, p. 69-70

والأوراق البردية التي يرجع تاريخها إلى عصر راجا أشوكا قبل ميلاد المسيح[3]، وما تقوله المصادر الأوربية عن صلة بلاد العرب الملاحية والتجارية بالهند أنها لم تكن ذات قيمة، بل تقول أيضًا : إن الملاحة قد ازدهرت في المنطقة العربية بعد الفتح المقدوني وقويت الصلة بين موانئ البحر الأحمر وموانئ الخليج العربية من جهة ، وبين السواحل الهندية من جهة أخرى [4] مردود، لأن عرب الجنوب أي منطقة اليمن كانوا يسهمون في ازدهار التجارة البحرية مع الهند قبل وصول اليونانيين، حيث يصف الرحالة اليوناني أجاثاركيدس عرب سبأ بأنهم ملاحون مهرة ومحاربون أشداء، "يبحرون في سفن كبيرة للبلاد التي تنتج العطور، وكانت لهم فيها مستعمرات يستوردون منها نوعًا من العطر لا يوجد في جهة أخرى "، ويقول أيضًا: "إنَّ السفن كانت تأتي من الهند إلى سبأ اليمن، ثم تصل مصر "[5]. فكانت لعرب الجنوب من حضارمة وحميريين وعمانيين علاقتها التجارية البحرية القوية مع الهند [6]، ما أدى إلى قيام بعض الأسر العمانية باستقرارها في بلاد الهند قبل وخلال العصر الإسلامي، والتي أسهمت في ترسيخ العلاقات الثقافية والدينية بين الطرفين عبر العصور[7].

٣- ينتمي راجا أشوكا إلى الأسرة الملكية يطلق عليها "أسرة موريه" التي كانت عاصمتها آنذاك في "مگده" تقع هذه المنطقة حاليًا في ولاية بهار، وقد أكد محققو فن كتابات اللغات الهندية والسامية و اللغات الأخرى، أن هذه الخطوط القديمة مشتقة من فروع الخطوط الآرامية، ولكن لغة هذه الخطوط مكتوبة باللغة الپالية القديمة أي اللغة الدينية المقدسة لبوذا، راجع: السيد سليمان الندوي، **مقالات سليمان**، دار المصنفين، أعظم گره، 2006م، ص 49، هذا وتجدر الإشارة إلى أن الهند كانت على صلة قوية مع دول الجوار بما فيها الصين أيضًا، فكانت لهما علاقات تجارية وثقافية ودينية مما وفرت البيئة الصالحة للرحالة والمبشرين من البوذيين للتجول في الهند وتدوين الأوضاع السياسية والتجارية والثقافية ، والذي يؤكد على وجود صلة قوية بين البلدين عبر التاريخ، خصوصًا منذ القرن الأول إلى القرن السابع للميلاد. راجع للتفصيل:

Richard B. Mather, *Chinese and Indian Perceptions of Each Other between the First and Seventh Centuries*, Source: Journal of the American Oriental Society, Vol. 112, No. 1 (Jan. - Mar., 1992), pp. 1-8

٤- راجع: أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، عالم المعرفة، الكويت، 1990م، ص 18.

٥- السيد سليمان الندوي، **العلاقات العربية والهندية** ، ترجمة: أحمد محمد عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008م، ص 60-61.

٦- محمد كريم إبراهيم، "العلاقات التجارية بين عدن والهند خلال القرنين السادس والسابع الهجريين "، **مجلة المؤرخ العربي**، عدد 33، عام 1987م.

٧- عبد الحليم رجب محمد، **العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين** ، مكتبة العلوم، مسقط، 1983م.

أما ما يتعلق بالخليج العربي فقد ازدهرت الملاحة فيه في عصري البطالمة والرومان، فنشطت في ذلك الوقت بعض الموانئ التي أسهمت في امتداد التجارة إلى الهند والبحر المتوسط [٨]. وبسبب هذه النشاطات التجارية أصبح الرومان من أنشط تجار الدول الإسلامية فيما بعد، حتى كانت لهم جالية من التجار في مدينة "جيروفت التجارية بأواسط كرمان [٩]، مثلما استقرت الجالية الرومية التجارية في "كرنگانور" في الملبار في القرن الثالث الميلادي، وبالمقابل كانت هناك جالية هندية تجارية قد استقرت في الإسكندرية والتي أبادها الملك الروحي "كيراكلا Carracalls"، في مطلع القرن الثالث للميلاد[١٠].

ولا شك أن أسس العلاقات التاريخية بين الجزيرة العربية والهند نشأت في نسق تطوري، وقد هيأ هذا الرصيد من العلاقات القديمة الأرضية المناسبة لدخولها مرحلة النضج والاكتمال في العصر الإسلامي، خصوصًا بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى تحت قيادة القائد محمد بن القاسم في عام 93هـ/ 711-712م، فكانت لهذه الفتوحات الإسلامية أثر كبير وعميق في ترسيخ الصلات الحضارية بين الطرفين، خصوصًا أن المسلمين استقروا في بعض المناطق الساحلية خصوصًا في السند وقاموا بإنشاء المدن التجارية ومن أهم هذه المدن "بنبهور (Banbhore) الواقعة في مدينة ديبل التي فتحها المسلمون في أول مطاف تحت قيادة القائد محمد بن قاسم، فقاموا بإنشاء هذه المدينة التجارية، ثم قامت فيما بعد الإدارة الإسلامية بإنشاء المدن الأخرى، مثل مدينة المحفوظة عام 112هـ/ 730م، ومدينة "المنصورة" عام 121هـ/ 738م، ومدينة "البيضاء" عام 225هـ/ 839م، ومدينة "جُندور" في عام 340هـ/ 950م، وكلمة جُندور مشتقة من كلمة "جُند" العربية، و"وُرْ" الهندية بمعنى مكان، فكانت هذه المنطقة تستخدم في بداية الأمر كمعسكر أو سركنات للجيش الإسلامي إلى أن تحول إلى المدينة المزدهرة وأدت دورًا سياسيًا واقتصاديًا وتجاريًا لربط الهند تجاريًا واقتصاديًا مع الدول الشرقية والغربية[١١].

٨- جورج فضلو حوراني، **العرب والملاحة في المحيط الهندي** ، ترجمة: يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958م ص 42-45.

٩- آدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** ، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط 3، 1377هـ/ 1957م، ج2، ص 324.

١٠- Tara Chand, *The influence of Islam on Indian Culture*, India, p. 29-30

١١- السيد أبو ظفر الندوي، **تاريخ سند**، دار المصنفين، الهند، ص 360-366، لمزيد من التفاصيل حول دور هذه المدن في تفعيل العملية التجارية على المستوى العالمي راجع المقالة التالية: Mohammad Rafique Mughal, “Early Muslim Cities in Sindh and Patterns of International Trade”, Source: *Islamic Studies*, Vol. 31, No. 3 1992, pp. 267-286

وتجدر الإشارة إلى أن الملاحة والتجارة البحرية في المحيط الهندي بقيت بيد العرب والهنود، وهناك شواهد وجيهة يمكن الاستدلال بها، منها انتشار الإسلام عقب ظهوره بفترة قصيرة من المستوطنات التجارية العربية على طول الشريط الساحلي في جنوب الهند والجزر المجاورة لها من دول شرق آسيا، وفي الموانئ التي توجد بها جاليات تجارية عربية، من ساحل الهند الغربي والجزر المجاورة لها. فهذه الهجرات كانت تجري بالطبع بواسطة السفن العربية[١٢].

وقد مهدّت نشاطات العرب البحرية الطريق لتجار العرب وغيرهم ، بجانب الرحالة الفرس والعرب بقيام الرحلات مباشرة إلى الهند، فظلت هذه الرحلات التجارية والثقافية بين العرب والهند مزدهرة إلى فترة طويلة[١٣]، مما ساعد على تقوية الصلات التجارية والثقافية بين الطرفين.

ويحق لنا أن نسأل: أما كان للهنود القدامى من خبرة وتقاليد ملاحية قبل الإسلام؟ إن بعض المستشرقين ومنهم "الفنستون" ينكرون هذا الأمر على الهنود، ويقولون : إن الهنود لم يكن لهم دراية بالبحر وإنهم يرهبون ركوبه[١٤]، ويجدر بنا أن نقف قليلًا لنناقش هذه الآراء دون تحيز، فهناك كتب قديمة هندية تؤكد على دراية الهنود بالسفر عبر المحيط، فمثلاً جاء في منوشاشتر: "إن من يراع في رحلته البحرية أمورًا أربعة: الصحة، البلد، الوقت، الهدف، ينل ما يبغي"[١٥]. ولا ريب أنه لولا إسهامات الهنود في ذلك لما كان يمكن لهم أن يفدوا على موانئ العراق، وتفيد بعض المصادر القديمة أن الهنود كانوا على سفر دائم عبر النهر من البنجاب إلى السند[١٦].

١٢- لمزيد من التفصيل حول ذلك راجع : أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، ص 15 وما بعدها.

١٣- جورج فضلو حوراني، **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ص 89.

١٤- سليمان الندوي، **العلاقة العربية والهندية**، ص 88.

١٥- المصدر السابق، ص 89.

١٦- بزرگ بن شهريار، **عجائب الهند** ، ليدن، عام 1886م، ص 104، وفي أحد المواضع، استخدم الرحالة نفسه، لفظين مختلفين: بنيا، والتاجر، ويقصد بالأول: التاجر الهندوسي، وبالثاني: التاجر العربي، ويقول: "ولا تزال العرب تطلق لقب "بنيا" على التاجر الهندوسي، وما زالت تجارتهم مستمرة حتى اليوم في كل من العراق والبحرين وعمان والسودان وبور سعيد والقاهرة، وقد التقيت بأولئك "بانيا" أثناء رحلتي الحجاز ومصر، وهم يتحدثون اللغة العربية العامية الشائعة ببراعة فائقة، مما جعل علماءنا يتملكهم العجب والدهشة، حين يسمعون حديثهم، وأغلب هؤلاء من السند والملتان والگجرات، والله وحده يعلم متى شرع هؤلاء في الرحلة إلى هذه البلاد، وهكذا، فقد ظهر الهندوس على متن السفن العربية عام 300هـ بالقرب من عدن، راجع: المصدر نفسه، ص 147.

نستطيع أن نستنتج مما سلف أن للهنود دراية كافية بركوب البحر وعلوم البحار، لأنه لولا ذلك لما انتقلت الآداب الهندية المبكرة المتعلقة بالمعرفة الجغرافية والفلكية عبر الأعمال السنسكريتية المترجمة إلى العربية، ومنها على سبيل المثال: "سداهنت"، و"آريه بهتا" المؤلف عام 499م، وخندخاديكا المؤلف عام 665م، والسؤال الذي يطرح نفسه : هل ظهرت التأثيرات الهندية في الجغرافيا الوصفية والخرائطية، وإلى متى أثرت الآداب السنسكريتية في الجغرافيا الرياضية والفيزيائية والبشرية والاقتصادية[١٧]؟

لاشك أن الثقافة الهندية ساعدت الرحالة المسلمين على تطور علم الجغرافيا، حيث قدم الجغرافيون الأوائل المادة الأساسية في الصياغات النظرية والملاحظات الفلكية لعدد متزايد من الجغرافيين المسلمين الذين أسهموا في تطوير المعرفة عن حركة الشمس والقمر والمد ومستويات سقوط المطر، فواصل المفكرون المسلمون إضافة المعلومات من خلال الملاحظات الرياضية والفلكية، حول قياس المسافات، بتحديد مواقع البلدان والمدن وأبعاد الأراضي والبحار وأطوال الأيام ومواقع الكواكب. وبحلول القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ظهرت نوعية مختلفة من المواد الجغرافية، وكان علم

١٧- عبيد علي بن بطي، **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، عام 1996م، ص 52، وتجدر الإشارة إلى أن للهنود أعمالا كثيرة متنوعة في علوم الفلك منذ أقدم العصور، أما كلمة "سدهانت" فمعناها "المعرفة والاستقامة" ولكن هذا الاسم أطلق فيما بعد على كل كتاب يبحث في علم النجوم في شبه القارة، وهنالك خمسة مجاميع في الرياضيات والفلك تحمل هذا الاسم أقدمها،

1. **سوريا أو سورج سدهانت**، 2. **بسشست سدهانت**، 3. **پلس سدهانت**، 4. **رومك سدهانت**، 5. **براهم سدهانت**، راجع حول هذه المجاميع : البيروني، **تحقيق ما للهند**، ص 118-119، ويرجع وضع المجموع الأول إلى النصف الأول من القرن الخامس للميلاد، ومن هذه المجاميع **پنج سدهانك** التي وضعها العالم الهندي **فراهمهر** عام 505م. والمجموع الآخر أي **براهم سدهانت** وضعه "برهم گپتا" عام 628م (7-8هـ)، وقد أدت هذه المجاميع دورا محوريا في مسائل حساب المثلثات، والفلك، والرياضيات، لمزيد من التفاصيل راجع : عمر فروخ، **تاريخ العلوم عند العرب**، ص 123-125 في عام 154هـ/ 771م، جاء إلى بغداد في عهد الخليفة المنصور، وفد من السند، كان فيه عالم وطبيب هندي "كنكه"، وهو غير "منكه" الطبيب الذي ورد على الخليفة هارون الرشيد، عارف بالرياضيات والفلك، ويبدو أنه كان يحمل نسخة من كتاب **سوريا سدهانت** فأملى موجزا له، أو بعضا منه، ومن ثم أمر المنصور بأن ينقل هذا الموجز إلى اللغة العربية، وعهد بذلك إلى إبراهيم بن حبيب الفزاري (ت161هـ/ 777). راجع: ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبوالعباس، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ، ص 473.

الطرق هو المؤثر السائد على الأعمال الجغرافية الأولى، وكان هدفها تأليف كتب الطرق والدراسة الطبوغرافية للطرق الرئيسية للدول الإسلامية، فكانت هذه المعلومات تستفيد منها الإدارة الإسلامية على المستويات كافة، والأمر المفيد للباحثين هو وفرة المعلومات التي تضمها كتب الرحالة المسلمين حول عادات الشعوب وتقاليدها وأوضاعها الدينية والسياسية والاقتصادية والتجارية، ومن الواضح أن ذلك كان ميلاد الجغرافيا الطبيعية والبشرية[١٨].

ثانيًا: نبذة عن الرحالة العرب الذين زاروا الهند ما قبل فترة البحث

هذا، والآن أذكر مجملًا الرحالة العرب ورغبتهم الحقيقية في الرحلات البرية والبحرية لجمع المعلومات والملاحظات وتسجيل تجاربهم والذين زاروا الهند ومكثوا فيها وسطروا ما شاهدوا من الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية، وهم كالآتي:

1- **سليمان التاجر وزيد حسن السيرافي**

يُعَدُّ ما وَرَدَنَا عن سليمان التاجر من المصادر المهمة التي وصفت الهند في تلك الفترة من قبل عربي، فقد دون سليمان التاجر رحلته في مذكرات عام 237هـ/ 851م، وهو لم يكن رحالة، ولا جغرافيًا أو مؤرخًا، بل تاجرًا من سيراف اسمه سليمان، اعتاد السفر إلى الهند والصين لجلب السلع من هناك وبيعها في البلاد العربية. ولم يُعْثَر في الكتب والمخطوطات على بقية اسمه أو تفاصيل حياته، وقد عُثِرَ على مخطوطة لكتاب **سلسلة التواريخ** الذي ألفه عراقي من مواطني سليمان عاش في القرن الرابع الهجري، بعد نحو ستين عاما من تاريخ كتابة سليمان لمذكراته، ويدعى زيد حسن السيرافي وقد سجل رحلة سليمان، وأضاف أخبار وأقوال التجار بجانب تحديد تاريخ تأليف الجزء الأول في مقدمة كتابه بعام 237هـ. وقد عثر عليها المستشرق الفرنسي رينودو عام 1130هـ/ 1718م في إحدى مكتبات باريس الخاصة، وسلمت بعد ذلك إلى دار الكتب الأهلية، وقام رينودو بترجمة المخطوط للفرنسية ونشره بعنوان "أخبار قديمة من الهند والصين أوردها اثنان من الرحالة المسلمين، سافرا إلى هناك في القرن التاسع الميلادي" وبعدها نشر الأصل العربي وترجمته الفرنسية سنة 1261هـ/ 1845م[١٩].

١٨- عبيد علي بن بطي، **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور**، ص 53-54.

١٩- يوسف الشاروني، تحقيق ودراسة لكتاب **أخبار الصين والهند**، الدار المصرية اللبنانية، مصر العربية، 2000م، ص 14-23.

تتركز أهمية هذا الكتاب في أنه من أوائل الكتب التي استفادت مما وصلت إليه خبرات الملاحين والرحالة العرب في المحيط الهندي حتى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وأعادت فأفادت كمرشد بحري لهؤلاء الملاحين والرحالة، ويمكن ذكر مـزايا رحلاتهم في السطور التالية:

1- يقدمان لنا صورة عن الطرق البحرية التي سلكها العرب حتى ذلك الوقت في المحيط الهندي غربًا حتى ساحل إفريقيا الشرقي، وحتى ميناء كانتون (canton) في الصين[٢٠].

2- يشيران إلى الجزائر التي زارها خلال الرحلة مع وصف دقيق للحياة الاجتماعية والدينية[٢١].

3- القيام بذكر ملوك الهند وعاداتهم في الملبس والمأكل ونظامهم العسكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي[٢٢].

4- القيام بتناول النظم والقوانين السياسية والقضائية والاقتصادية، معرضًا للعادات والتقاليد في الأحوال الشخصية[٢٣].

القيام بذكر العلوم العقلية من الطب والفلسفة والنجوم والفلك والتي كان الهنود يمارسونها آنذاك[٢٤].

2- **أبو دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي (المتوفى أواخر القرن الرابع الهجري)**

لعل أبا دلف الخزرجي من أولئك الرحالة الذين شاءت لهم الأقدار أن يقوموا برحلات طويلة، كما يعد أبو دلف أول رحالة عربي دخل إلى الهند عن طريق البر [٢٥]. إن المصدر الوحيد الذي يوفر لنا نبذة مختصرة جدًا عن حياته هو كتاب **يتيمة الدهر** للثعالبي[٢٦]، الذي لم يقدم أي معلومة عن تاريخ ومكان

٢٠- راجع: المصدر السابق، ص 18-37-38.

٢١- المصدر السابق، ص 32-33.

٢٢- المصدر السابق، ص 42-43-76.

٢٣- **أخبار الصين والهند**، ص 38-39-40-42-66-67.

٢٤- المصدر السابق، ص 89-90.

٢٥- السيد سليمان الندوي، **العلاقات العربية الهندية**، ص 51.

٢٦- تناول المؤلف المذكور شيئًا كثيرًا من أعمال أبي دلف الشعرية: أبو منصور عبد الملك الثعالبي المتوفى 429هـ، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، 1403هـ/ 1983م، ج 3، ص 413-436.

ولادته ووفاته، والمعلومات المذكورة المتعلقة بشخصيته عند المحرر العربي ابن النديم مختصرة وقليلة جدًا[٢٧]، وكذلك الرحالة القزويني أتى ببعض المعلومات ولكن ها شحيحة[٢٨]، بجانب ذلك نجد بعض المعلومات عنه في طيات الرسالة الأولى والثانية مما تفيدنا بأنه عاصر رجال القرن الرابع الهجري، دون تحديد لمكان ولادته ووفاته.

وترك لنا أب و دلف وصفًا شيقًا لرحلته في هذا العصر إلى تلك المناطق والقبائل المجهولة في تركستان الغربية، والشرقية، والتبت، والصين، والهند خصوصًا جنوب الهند والسند والملتان، وتناول ما وجدها من عادات هذه المناطق وتقاليدها، وأعرافها، وصناعتها، وتجارتها، وطرق معيشتها، وحياتها عامة، وبذلك استوعب الجانب الديني والسياسي والاقتصادي والتجاري والاجتماعي[٢٩].

3- **بزرگ بن شهريار هرمزي (ت. بعد 340 هـ/ 956 م)**

هو قبطان سفينة تجارية ورحالة، من أهل خوزستان. من آثاره كتاب **عجائب الهند بره و بحره و جزايره**، تناول فيه الوقائع العديدة حول مناطق جنوب الهند، ومنطقة گجرات، ومن الأحداث المهمة التي

٢٧- محمد بن إسحاق ابن النديم، **الفهرست**، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ/ 1978م، ص 486-491.

٢٨- زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، 1389هـ/ 1969م، ص589، اعترف القزويني قائلًا: إنه أخذ كل ما يتعلق ببلاد الترك وقبائلها، من مسعر بن مهلهل "فإنه كان سياحًا رآها كلها" راجع: ص 589.

٢٩- لقد سجل أب و دلف كل ذلك في رسالتين مهمتين، قام بنشر أولاهما الباحث مريزن سعيد مريزن عسيري مع دراستها وتحقيقها، وقسمها إلى قسمين: يشتمل القسم الأول على الدراسة التي تضم فصلين، يتحدث الفصل الأول عن حياة أبي دلف وعصره وثقافته وأعماله الأدبية، أما الفصل الثاني فقد خصص لدراسة الرسالة الأولى والتعريف بها واشتمل ذلك على صفتها وتحريرها وأهميتها وقيمتها العلمية، أما القسم الثاني فيشتمل على النص والتحقيق، وطبع هذا الكتاب في جامعة أم القرى 1416هـ/ 1995م، أما الرسالة الثانية فحققت ونشرت مرتين، حيث حققها مينورسكي، جامعة القاهرة، 1955م، كما حققها بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف، ترجمة وتعليق: محمد منير مرسي، طبع عالم الكتب. حول الهند راجع: الرسالة الأولى ص 59-73 هذا، وأهم المدن التي زارها في الهند هي السند، والمنصورة والملتان، مع ذكر التطور العمراني، عارضًا لوضع الإسلام، مؤكدًا على نشر الثقافة الإسلامية وقيام الإدارة الإسلامية بالحدود الشرعية والعدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن المدن الساحلية الهندية التي زارها هي الديبل وكنباية وهابان، وبلهرا، وقنوج، وسندان، وصومار، حتى وصل إلى رأس كماري أي نهاية الهند الجنوبية، راجع: ص 73-74.

ذكرها، أن ملكًا هنديًا قد ترجم القرآن إلى اللغة المحلية للمعرفة والتدبر في آياته. ومن بين المدن الهندية التي زارها وذكرها في كتابه هي: كولم، كشمير السفلى (البنجاب)، ميسور (جيسور)، سوباره، تهتهـ، تهانه، سيلان وغيرها[٣٠].

4- **الإصطخري إبراهيم بن محمد (ت نحو 346هـ/ 957م)**

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، ويعرف بالكرخي أيضًا، جغرافي ورحالة، ينسب إلى مدينة إصطخر، في جنوب غربي إيران، وتعرف اليوم بـ : تخت جمشيد. عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولا يعرف على وجه الدقة متى ولد، ولا كيف تقلبت به الحياة حتى وفاته. وتدل القرائن على أنه كان حيًا يرزق في العقد الخامس من القرن الرابع الهجري، من ذلك ما يرويه ابن حوقل في كتابه **المسالك والمالك والمفاوز والمهالك أو صورة الأرض** أنه التقى بالإصطخري في بغداد سنة 340هـ/ 951م. يعد الإصطخري في الجغرافيين الذين جمعوا مادتهم العلمية عن طريق المشاهدة بمعاينة الأماكن الجغرافية ووصفها إضافة إلى ما قرأه في مصنفات من سبقه. وقد طاف بلادًا كثيرة مبتدئًا بديار العرب، من الخليج إلى المحيط الأطلسي كما زار بعض بلاد الهند، إضافة إلى بلاد فارس، موطنه الأصلي، التي خبرها جيدًا، ودل على ذلك وصفه المفصل لكورها ومدنها وأحيائها وحصونها وأنهارها وبحارها[٣١].

وله كتابان أحدهما **صور الأقاليم**، والآخر هو كتاب **المسالك والمالك** الذي لقي عناية كبيرة، فقد كان مرجعًا مهمًا لكل من جاء بعده، وترجم إلى الفارسية والتركية، ونشر المستشرق موللر Moller الكتاب سنة 1830م، كما نشره دي غويه De Geoie سنة 1870م ضمن سلسلة مكتبة الجغرافيين العرب. وفي عام 2004م أعادت وزارة الثقافة المصرية نشر الكتاب في السلسلة التي تصدرها بعنوان **تراثنا** وحققه الدكتور محمد جابر عبد العال[٣٢].

٣٠- بجانب ذلك ذكر أيضًا العلاقات التجارية مع الإشارة إلى نبوغ الهنود في مجال الرحلات وركوب البحر من خلال العمليات التجارية، وكذلك تناول أيضًا بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، وقد طبع عمله في ليدن عام 1886م، ثم نشرها حسن صالح شهاب بعد تحقيقه عام 2010م من دار الكتب الوطنية ، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة.

٣١- كتب كثيرًا عن مدن الهند ومنها: الملتان، والمنصورة، والسند، وألور، ونهر السند، ورسم الخرائط الدالة على كل هذه المدن، راجع: تحقيق محمد جابر عبد العال، ص 119.

٣٢- للاستزادة راجع : عبد الرحمن حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب**، دار الفكر، دمشق، 1980م.

5- **ابن حوقل (ت 367هـ/ 977م)**

أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي المعروف بابن حوقل، رحالة من بلدة نصيبين بالجزيرة. اتخذ التجارة مهنة له، وبدأ تجواله من بغداد عام 331هـ/ 943م. فحملته أسفاره إلى شمالي إفريقية والأندلس، وزار نابولي وباليرمو في إيطالية، وعرف العراق وإيران وجزءًا من الهند أي منطقة السند عن كثب [٣٣]، وعاد من أسفاره عام 362هـ/ 973م. وهذا يعني أنه قضى في الترحال نحو ثلاثين عاماً.

يعد ابن حوقل من أوائل الذين خرجوا على المنهج اليوناني في تقسيمه الأرض إلى الأقاليم السبعة، وتخيروا مناطق محددة كوحدات جغرافية متميزة. واتبع في كتابه **صورة الأرض** المنهج نفسه الذي سار عليه الإصطخري في تصنيفه الإقليمي، وتقسيمه العالم الإسلامي إلى عشرين إقليمًا. فقد اتبع ابن حوقل منذ البداية ـ كغيره من الجغرافيين العرب المسلمين ـ الأسلوب الصحيح في كتابة الجغرافية الوصفية التي تعتمد أسلوب المشاهدة والدراسة الميدانية. وهي تركز في معظمها على الجوانب البشرية أكثر من تركيزها على الجوانب الطبيعية ، فتناول بالوصف مختلف نواحي الحياة البشرية، متحدثاً عن العادات والتقاليد والحرف والأديان، والطبقات الاجتماعية، والمأكل والملبس، إلى آخر ما يتصل بحياة الإنسان [٣٤]. ولاشك في أن ازدهار الجغرافية في المنطقة العربية إنما يدل على مكانة هذا العلم في إدارة شؤون الدولة الناشئة، ومعرفة أحوالها وثرواتها ووجوه أموالها وهذا ما أشار إليه ابن حوقل في مقدمة كتابه **صورة الأرض** بقوله: "إنه علم يتفرد به الملوك الساسة، وأهل المروات والسادة من جميع الطبقات"[٣٥].

6- **المقدسي شمس الدين محمد بن أحمد (335ـ نحو390هـ/ 947 ـ نحو 1000م)**

محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء المقدسي، ويقال له البشاري ، شمس الدين أبو عبد الله، جغرافي ورحالة عربي. ويرى بعض الباحثين في المقدسي أكثر الجغرافيين أصالة فيما يتعلق بملاحظاته الشخصية

٣٣- خصص القسم الثاني من كتابه لذكر حدود الهند مع الإشارة إلى الأوضاع السياسية والحضارية في مدن هذه المنطقة، كما وضع خريطة أيضًا لفهم هذه المدن وما يجاورها من المناطق الشرقية، للتفصيل راجع : ابن حوقل، **صورة الأرض**، طبعة بيروت، 1992م، ص 274-284.

٣٤- راجع ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص 279-281.

٣٥- راجع مقدمة كتاب **صورة الأرض**، ص 10، للاستزادة راجع : اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة، 1975م.

على العادات والتقاليد والمنتجات والخصائص المتعلقة بالأماكن التي زارها وينسب إليه الفضل كذلك للتقديم المنهجي لمعلوماته، وفي العديد من الجوانب للصور التي رسمها بوصفه شاهد عيان، وتجعل قائمة المصطلحات الحضارية والثقافية المعروفة في زمانه هذا العمل أكثر قابلية للاعتماد عليه[٣٦].

بدأ المقدسي بتأليف كتابه **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** عام 375هـ/ 985م وكان قد بلغ الأربعين من عمره، واستغرق إنجازه نحو ثلاثة أعوام، وكان كتابه هذا آخر ما يمثل الدراسة التقليدية "الكلاسيكية" من كبار الجغرافيين العرب في القرن الرابع الهجري. ووجد الكتاب في مسودتين تعود إحداهما ـ وفقًا لألفاظ المؤلف نفسه ـ إلى عام 375هـ/ 985- 986م، أما الثانية وهي التي استعملها ياقوت فقد أكملت بعد ثلاثة أعوام من ذلك التاريخ عام 378هـ/ 988- 989م[٣٧].

واقتصر كتاب المقدسي **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** على تقديم معرفة واسعة للأقطار الإسلامية، واتبع منهجًا في كتابه ، إذ بدأ في العموميات عن كل إقليم قام بدراسته ثم انتقل بالوصف إلى المدن والنواحي، وبعدها قدم معلومات تخص الأخلاق والعقائد الدينية. وقسم المقدسي في كتابه، العالم الإسلامي إلى أربعة أقسام، ولكل قسم منها خرائط مستقلة، واستخدم طرقًا لتمثيل الظواهر الجغرافية حتى يمكن للجميع فهمها؛ فرسم الطرق المعروفة بالحمرة، والرمال الذهبية بالصفرة، والبحار المالحة بالخضرة، والأنهار بالزرقة، والجبال المشهورة بالغبرة.

وما يراه المقدسي من اختلاف كتابه عن مؤلفات من سبقه يكمن في رحلاته التي قام بها، ومنهجه في الكتابة الذي يبدأ فيه الحديث الإجمالي ثم ينتهي بمعلومات تفصيلية يتناول فيها المناخ والديانة والتجارة والغرائب والمظاهر الجغرافية الأخرى، وفي ذلك قوله عن إقليم السند: "هذا إقليم الذهب والتجارات، والعقاقير والآلات، والفانيذ والخيرات، والارزار والموز.. . به رخص وسعة نخيل وتمرات، وعد وإنصاف وسياسات، وبه خصائص وفوائد وبضاعات، ومنافع ومفاخر ومتاجر وصناعات، ومصر ومدن سرية وقصبات وسلامة وعافية وثم أمانات... "، ثم يتابع تعداده لبقية عجائب بلاد الهند الأخرى[٣٨].

٣٦- عبيد علي بن بطي، **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور**، ص 55.

٣٧- للاستزادة راجع: عبد الرحمن حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب**، دار الفكر، دمشق، 1980م.

٣٨- شمس الدين المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، تحقيق ونشر دي غوية (DE. GOEJE)، ليدن، ط 2، 1906م، ص 474.

وهنالك رحالة آخرون زاروا الهند في الفترات العديدة ولكنهم لا يأتون في صفوف الجغرافيين، بل هم باحثون موسوعيون في الدرجة الأولى، ومنهم المسعودي (283هـ-346هـ/ 896-957م)، والبيروني(362-440هـ/ 973-1048م)، فكان المسعودي رحالة عظيمًا استمرت رحلاته ثلاثين عامًا دون توقف تقريبًا، وَعَدَّ هو سفره طلبًا للعلم أو كما عبَّر عنه "الرحلة في طلب العلم" إنجازًا دينيًا، ومن أهم أعماله "التنبيه والإشراف"، و"مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تناول في الأخير جغرافية الهند وأنهارها ومدنها(٣٩)، وقد وصل بنفسه إلى كنبايت عام 303هـ/ 912م، وكان يحكمها في ذلك الوقت أحد التجار البراهمة، واليًا من قبل الملك الهندوسي "ولبهـ رائ"(٤٠)، وعند وصوله إلى الملتان عام 303هـ/ 912م، ذكر لنا أسماء الملوك والوزراء والعرب(٤١)، ودوّن المسعودي هذا الكتاب بعد أن أنهى رحلاته عام 332هـ/ 943م(٤٢).

أما البيروني، فهو أول رحالة عربي استغل وجوده في الهند لتسجيل الأوضاع الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية بدقة بالغة، ويأتي كتابه "**تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**" من أهم الكتب العربية التي لا تثري المكتبة العربية فحسب، بل توضح الأوضاع للباحثين الهندوس الذين يبحثون عن بعض الحقائق الدينية والاجتماعية آنذاك في المجتمع الهندوسي، وبجانب هذا أدرج البيروني معلومات مهمة وتفصيلية حول الأنشطة البحرية والتجارية للهند في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد(٤٣).

٣٩- المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، 1384هـ/ 1964م، ج 1، ص 389-381.

٤٠- المصدر السابق، ج 1، ص 254.

٤١- المصدر السابق، ج 1، ص 326.

٤٢- لمزيد من التفاصيل حول ترجمة المسعودي وأعماله، راجع: ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، أشرف على تحقيقه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1410هـ/ 1989م.

٤٣- بجانب كتابه المذكور أعلاه، سطر كتبًا عديدة في العلوم العقلية، ومن أهمها: **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، ومقالة **استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها**، و**الصيدنة في الطب**، و**القانون المسعودي في الهيئة والنجوم**، و**استيعاب الوجوه الممكنة في صناعة الإصطرلاب**، و**غرة الزيجات**، و**التفهيم لأوائل صناعة التنجيم**، و**تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن** و**تاريخ الأمم الشرقية**، و**تاريخ الهند**، للاستزادة راجع: **كتاب البيروني**، المجلس الأعلى للعلوم في سورية، 1974م.

ويعدُّ كتاب الرحالة ابن بطوطة (703–779هـ/ 1304–1377م) بعنوان **تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، مصدرًا مهمًا وثريًا حافلاً بالعطاء في الجغرافيا والإثنوغرافيا والتاريخ الثقافي والحضاري، خصوصًا فيما يتعلق بالهند جنوب شرق آسيا، بجانب كونه مصدرًا من مصادر التاريخ الدولي للعالم الإسلامي وعلاقات أقطار هذا العالم بعضها ببعض وعلاقاته بالعالم المسيحي[٤٤].

وما ورد في كتابه عن الهند الإسلامي خصوصًا عصر بني تغلق (720–815هـ/ 1321–1413م) له أهمية إثنوجرافية كبيرة لكشفه عن بعض نواحي الالتقاء والتمازج بين الحضارتين الإسلامية والهندية، وفي وصفه للمناسبات والاحتفالات ـ وإن بدا فيها بعض المبالغات في بعض الأحيان ـ فهي توضح ولا شك طبيعة التفاعل بين الهنود والمسلمين بعد ثلاثة قرون تقريبًا منذ الفتح الإسلامي [٤٥]. هذا وتقدم الرحلة بصفة عامة ما يمكن وصفه بإطلالة بانورامية على العالم الإسلامي في القرن الثامن الهجري، فالرحلة تفصح عن ترامي أطرافه، وامتداد بقاعه، وتنوع شعوبه، وتباين تقاليد الأقوام وعاداتهم [٤٦]. هذا، وبعد ما انتهيت من ذكر الرحالة العرب أنتقل الآن إلى الرحلات الأوروبية إلى شبه القارة الهندية.

ثالثًا: سقوط السيادة البحرية الإسلامية وعصر النهضة الأوروبية

لقد تعاظمت لدى أوربا مظاهر حب الاطلاع والمعرفة والاكتشاف في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد، فأخذت تتقوى وتوحد صفوفها، وتفكر وتتدبر وتتعلم، ما أدى إلى أن تجوب البلدان وتكشف الأمصار، والتي تمخض عنها اكتشاف أمريكا على يد دولة إسبانيا في عام 903هـ/ 1498م، من خلال إرسال الرحالة الإيطالي كريستوفر كولومبوس (Christophorus Columbus)، ثم قامت دولة البرتغال بإرسال البعثة التجارية تحت قيادة الرحالة فاسكو دى گاما (Vasco da Gama)[٤٧] بالدوران حول

٤٤– شمس الدين أبو عبد الله الملقب بابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، تحقيق: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ/ 1997م، ص 9 وما بعدها.

٤٥– خصص المحقق المجلد الثالث من كتابه لبيان ما ذكره ابن بطوطة عن الهند وشعبها وعاداتها وتقاليدها ونظمها ودولتها ووضعها السياسي والاقتصادي والديني والاجتماعي، راجع: ج 3، الفصل العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، ص 67–249.

٤٦– حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**، عالم المعرفة، الكويت، 1978م، ص 23.

٤٧– فاسكو دا گاما (Vasco da Gama) (ولد في 1469م في البرتغال وتوفي في 24 ديسمبر 1524م في كاليكوت بالهند) يعد من أنجح مستكشفي البرتغال في عصر الاستكشاف الأوربي وهو أول من سافر من أوربا إلى الهند =

القارة الإفريقية وكشف طريق الهند مباشرة وبعيدًا عن السيادة البحرية الإسلامية، فكان هذا الطريق الجديد ضالة أوربا المنشودة لضرب الدول الإسلامية سياسيًا واقتصاديًا وتجاريًا، ولقد كانت لهذه الكشوف عدة دوافع من أهمها:

1- الدافع الاقتصادي أي معرفة الطرق المؤدية إلى ثروات وخيرات الشرق عمومًا وشبه القارة الهندية خصوصًا، ولكي نفهم هذه القضية بأحسن صورة عليَّ أنْ أذْكُرَ هنا ما كتبه المؤرِّخ الهندي بانيكر في كتابه إذْ يقول: "إنَّ الرحلات التي بدأها الأوروبيون خصوصًا البرتغاليين والإيطاليين لم تكن اقتحامًا للمجهول، وإنما جزء من محاولات مستمرة لانتزاع السيطرة على شريان اقتصادي مهم كان حتى ذلك الوقت في أيد أجنبية (المسلمين) كثيرًا ما كانت معادية... ". ثم يفسّر المؤرّخ المذكور متسائلًا: "لماذا لم يكن العرب الذين يتحكمون في الطرق البرية المؤدية إلى منحنى النيجر يشغلون أنفسهم بالبحث عن طريق بديل. وكانت ضرورة التغلب على الموقع الاحتكاري لعرب شمال إفريقية هي التي دفعت "جنوا" وغيرها من المدن الإيطالية إلى الاشتراك في حملات عملية الكشف. ولم يكن لدى العرب دافع من هذا القبيل، وعلى الجانب الآخر كان من صالحهم وقف كل محاولة لاكتشاف طرق بديلة، فضلاً عن ذلك أخفق العرب في استخدام الابتكارات التقنية التي تحققت عند نهاية العصور الوسطى"[٤٨].

2- الدافع السياسي والتجاري أي عملية الاستمرار في حرب الاسترداد [٤٩]، والسيطرة على التجارة العالمية من خلال التعامل المباشر مع الدول الشرقية خصوصًا ، وأن الدول الأوربية كانت تستهلك بكمية وافرة البهارات التي كانت تصل إليها من خلال الدول الإسلامية الواقعة على

بحرًا. ونجح بالفعل عام 1498م في إيجاد الطريق حول قارة إفريقيا عبر رأس الرجاء الصالح للسفر إلى الهند من أوربا بدلا من طريق الحرير والبحر الأحمر والطرق البحرية الأخرى التي كانت تحت سيطرة المسلمين في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى. لمزيد من المعلومات راجع : **يومياته**، ترجمة ودراسة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1995م.

٤٨- ك. مادهو پانيكار، **الوثنية والإسلام: تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقية** ، ترجمة: أحمد فواد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، مصر العربية، ط2، 1998م، ص 220-221.

٤٩- لمزيد من التفاصيل راجع : أغسطس رالي: **مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى** ، ترجمة: حسين سعيد غزالة، دار الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1430هـ، ص 20.

البحر الهندي والأحمر والبحر المتوسط، فكان من الضروري كسر هذا الاحتكار الإسلامي والتعامل التجاري الشرقي والسيطرة على الأسواق التجارية مباشرة.

3- الدافع الديني الذي جعلت الحروب الصليبية من أهم العوامل التي دفعت الرحّالة الأوربيين إلى الرحلة والانتقال إلى الشرق خصوصًا إلى الأماكن المقدسة لديهم في فلسطين، وفي ذلك أصاب المستشرق برناد لويس، حيث يقول: "والحقيقة أن هناك سلسلة طويلة من الرحالة والحجاج الذين رحلوا من أوربا إلى الشرق، وهؤلاء الذين شاركوا في الحملات الصليبية في القرون الوسطى"[50]، بجانب مشاركتهم في الحروب الصليبية ضد المسلمين، نجد أنهم وصفوا في أعمالهم الكنائس والأديرة والمزارات الدينية، وركزوا الاهتمام على أماكن دفن القدسيين[51]. وقد كانت إستراتيجية البرتغال على سبيل المثال ـ هي البحث عن طريق تجعل البضائع تصل مباشرة من الهند والصين وغيرهما من الدول الشرقية التي كانت تؤدي آنذاك دورًا محوريًا في التجارة العالمية؛ ذلك دون المرور بالبحر الأحمر والخليج العربي، ثم عبر الدول الإسلامية المحيطة بتلك الطرق البحرية التي استمدت قوتها من التجارة البحرية والبرية، فكان ذلك مصدر القوة الاقتصادية والسياسية للبلاد الإسلامية في تلك الحقبة، وكانت لها سيادة في هذه المجالات المذكورة أعلاه دون أي منازع[52].

وفي القرن الخامس عشر الميلادي مازالت البرتغال وإسبانيا تحاربان المسلمين في الأندلس، وأصبحت البرتغال قائدة المسيحية ضد الإسلام والمسلمين حيث أصبحت محاربتهم عند النصارى المتدينين والوطنيين من شعب إيبيريا واجبًا مطلقًا، ومركبًا ذا قوة متعادلة بين الواجب الديني الوطني[53].

٥٠- برناد لويس، **الإسلام في التاريخ: الأفكار والناس والأحداث في الشرق الأوسط**، ترجمة: مدحت طه، المجلس الأعلى للثقافة، مصر العربية، 2003م، ص 85.

٥١- محمد يونس أحمد عوض، **الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992م.

٥٢- Maqbul Ahmad, *Indo-Arab Relations (Delhi: Indian Council for Cultural Relations*, 1969, p. 87.

٥٣- وقد كان البرتغاليون يرون أن محاربة الإسلام واجب مقدس، وكان الفاتيكان يعمل على تنمية هذا الموقف العدواني. فنجد أن البابا نيكولاس (1447 ـ 1455م) يقول صراحة: "إنه من واجب البرتغاليين أن يقضوا على الطاعون أينما وجدوه "، وكان يقصد بالطاعون الإسلام والمسلمين، راجع: محمد حسن العيدروس، **دراسات في الخليج العربي**، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1999م، ج 2، ص 44.

هذا، وتنبغي الإشارة إلى أنه كانت تجارة التوابل في أوربا قد بلغت شأنًا عظيمًا، وتطلع الأوربيون إلى مصدر هذه التوابل في الهند وجزر الهند الشرقية. وكان الطريق التقليدي لنقلها هو الطريق البحري بين ميناء هرمز ع بر الخليج العربي، أو ميناء عدن ع بر البحر الأحمر، ثم برًا إلى الموانئ العربية ع بر البحر المتوسط ومنها إلى أوربا. واحتكرت جمهورية البندقية بفضل أسطولها الكبير، وحسن علاقتها بالعرب، نقل التوابل من الموانئ العربية إلى البندقية حيث توزع منها إلى مراكز التجارة في أوربا. وكون تجار البندقية ثروات طائلة، مما أوغر صدور الدول الأوربية الأخرى، ودفع بعضها إلى محاولة الوصول إلى الهند عن طريق الدوران حول إفريقيا. استهلت دول أوربا القرن الخامس عشر الميلادي وهي مشغولة جميعا بمشاكلها الداخلية باستثناء إسبانيا والبرتغال حيث كانت الظروف السياسية أكثر استقرارا. وتجمعت عدة عوامل أخرى ذكرت آنفًا جعلت البرتغال تنظر إلى البحر كمخرج وحيد لطموحها، فهي معزولة عن أوربا بإسبانيا وليس أمامها فرصة للتوسع على حساب جارتها الكبيرة[٥٤].

ومن هنا أرسل البرتغاليون رحلات كثيرة ومنها فردية إلى الدول الإفريقية والهند حظيت باهتمام من قمة القيادة في لشبونة، وكان ملوك البرتغال ينعمون على الرحالة بعد عودتهم بنجاح بمكافأة كبيرة[٥٥]. ومن الرحلات الفردية التي تذكرها أدبيات هذا الموضوع رحلة "بيرو دي كوفيلها Pêro da Covilhã" عام 891 - 892هـ/ 1487 - 1488م الذي كان أول برتغالي يصل إلى كليكت Calicut وگوا Goa الهندية عبر مصر والبحر الأحمر، وربما يكون أيضًا أول أوروبي يدخل مكة المكرمة والمدينة المنورة، إذا صح ادعاؤه[٥٦]. وهي رحلة وجه بها الملك البرتغالي جون الثاني (John II of Portugal) من أجل متابعة المهمة التي كان قد بدأها "بارثولوميو دياز" (Bartolomeu Dias) بهدف البحث عن طريق بحري إلى الهند

٥٤- سليم أنطون، "رحلة مجلان حول العالم لأنطونيو بيجافينان"، **مجلة تراث الإنسانية**، المجلد السادس، عدد 1، 1968م، ص 74-75.

٥٥- يذكر الرحالة فارتيما، وهو موضوع بحثنا، لدى الانتهاء من تسجيل رحلته، فيقول: "لقد ذهبت ـ بعد ما عاد من الهند سالمًا وغانمًا ـ للقاء ملك البرتغال، وعندما وصلت ذهبت لتقبيل يد عظمته الذي أحاطني برعاية فائقة منه، واستوقفني عدة أيام في بلاطه ليسمع مني عن شئون الهند السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبعد بضعة أيام، قدمت له وثيقة الفروسية التي منحني إياها، نائبه في الهند، متوسلًا إليه ـ إذا رغب ـ أن يعتمدها ويوقعها بيده ويختمها بختمه، فتناول مني الوثيقة ووقعها بيده ووضع عليها ختمه، وتم تسجيلها... ص 298.

٥٦- *The Prester John of the Indies*, Hakluyt Society, Cambridge, 1961, p. 369-376

يدور حول القارة الإفريقية في عام 891هـ/ 1487م. وقد جاءت أخبار رحلته عن طريق طرف ثان هو ممثل البرتغال في الحبشة التي مات بها "كوفيلها"[٥٧].

ثم وصل فاسكو دي گاما، المستكشف البرتغالي المعروف، بمساعدة الملاح العربي الشهير أحمد بن ماجد إلى "كاليكوت" بجنوب الهند في عام 902هـ/ 1497م، فكان من أهم مهماته اكتشاف الطريق الجديد لوصول منتجات آسيا الجنوبية للأسواق الأوربية دون الحاجة إلى المرور عن طريق البحر الأحمر. وطبقًا لبعض الباحثين الهنود ربما كان الدافع التجاري والاقتصادي في الدرجة الأولى لدى البرتغاليين من أجل المزيد من الكشوف الجغرافية، إلا أن ذلك الدافع كان يحمل في طياته الحماس الديني بامتياز، بحيث إن المراسم والأوامر الصادرة لارتياد البحار والالتفاف حول العالم العربي والإسلامي تحمل رسم الصليب كشعار لتلك الحملات الاكتشافية، وكان الهدف من ذلك بطبيعة الحال نشر المسيحية بين الشعوب العربية والإسلامية وغير الإسلامية بالإكراه[٥٨].

فكان لديهم أهداف أخرى تتمثل في إجبار المسلمين والهندوس على اعتناق المسيحية ونشر دعوتهم بالحديد والنار. ويتبين ذلك من كلام المؤرخ المعاصر أحمد زين الدين الذي كتب قائلًا: "قام البرتغاليون بإحراق مساجد المسلمين، ووطؤوا المصاحف والكتب الدينية بأرجلهم، وأحرقوها بالنار، وهتكوا حرمات تلك المساجد، وحرضوا على قبول قول الردة والسجود لصليبهم، وعرضوا لهم الأموال على ذلك... وقتلوا الحجاج، وسبّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم... وكم من مسلمين ومسلمات نُصّروا، وكم من أمثال ذلك فضائح وقبائح تكل الألسنة عن ذكرها.. ثم إن بغيتهم العظمى، وهمتهم الكبرى قديمًا وحديثًا تغيير دين المسلمين، وإدخالهم في النصرانية..."[٥٩].

وعليه فكان البرتغاليون يرون أن محاربة الإسلام واجب مقدّس، وكان الفاتيكان يعمل على تنمية هذا الموقف العدواني. فنجد أن البابا نيكولاس قال صراحة: "إنه من واجب البرتغاليين أن يقضوا على الطاعون أينما وجدوه"، وكان يقصد بالطاعون الإسلام والمسلمين[٦٠]. ويتم التأكيد على ذلك من قول

٥٧- عبد العزيز سالم، **البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1993م، ص 107- 108.

٥٨- K. M. Panikar, *Lectures on India's Contact with the world in the Pre-British Period*, Nagpur, Nagpur University, 1964, p. 67.

٥٩- أحمد زين الدين، **تحفة المجاهدين**، ص 263.

٦٠- محمد حسن العيدروس، **دراسات في الخليج العربي**، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1999م، ج 2، ص 44.

القائد البرتغالي حينما استولى البرتغاليون على ميناء گوا عام 912هـ/ 1506م، فقاموا بمذبحة مروعة ضد التجار المسلمين، فأرسل القائد البرتغالي البوكيرك إلى ملك البرتغال، يبشره بالسيطرة على گوا، وبقتله للتجار والسكان المسلمين، فقال في نشوة: "حيثما أمكن العثور على عربي كان إفلاته من يدي ضربا من المحال"، فكان يملأ بهم المساجد ثم يضرم فيها النار"(٦١).

وسيكون من المستحسن أن أشير في هذا المقام إلى بعض الباحثين الأوربيين الذين قاموا بدراسة ذلك الجانب دراسة مستفيضة، وأثبتوا فيها بأن الكثير من الباحثين والأكاديميين الأوربيين والبرتغاليين يزعمون اليوم بأن الدافع الرئيس لأعمال السلب والنهب والقرصنة كان يتمثل في سلب الأموال ونهبها والسيطرة على النشاطات التجارية في تلك المناطق الشرقية فحسب، ولكن مزاعمهم مردودة، إنما الحقيقة تكمن في أن تلك الأعمال الهجمية وغير الإنسانية من البطش والتنكيل كانت يتم تنفيذها بواسطة الخطط الممنهجة ضمن الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين، فعند النظر الدقيق في جميع الهجمات البرتغالية يتضح جليًا أن الروح الصليبية كان لها حضور قوي، ومن أجل تحقيق تلك الأهداف المعيّنة قام جميع المسؤولين البرتغاليين وحلفائهم الدعاة اليسوعيين بتضفير جهودهم وبذل قصارى جهدهم من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين بما فيها قطع طرق الحج من شبه القارة الهندية ومناطق آسيا الجنوبية، وتعطيل رحلات الحج السنوية، إنما حاول البرتغاليون إلباس أعمالهم الهمجية بلباس الطموح التجاري والاقتصادي إلخ(٦٢).

إذن كان بروز الهيمنة البرتغالية وترسيخها في البحار الهندية بات أشد خطرًا على جميع الدول المطلة على المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي إبان تلك الفترة التاريخية. وبحلول عام 921هـ/ 1515م استولى البرتغاليون على معظم الموانئ المهمة الواقعة في هذه المناطق الساحلية، حتى إن الهيمنة البرتغالية بدأت تشكل خطرًا حقيقيًا على الحرمين الشريفين، ففي عام 920هـ/ 1514م، على سبيل المثال، وضع أفونسود البوكيرك نائب الملك للمستعمرة البرتغالية في الهند، خطة لغزو مكة المكرمة. وفي رسالته الموجهة إلى الملك دوم مانيول كتب قائلًا: "يجب أن تكون خطوتنا الأولى نحو السيطرة الكاملة على ميناء مصوّع وتأمينها كقاعدة عسكرية برتغالية لغزو المناطق الخارجية المجاورة لها، ولو نجحنا في ذلك لقمنا

٦١- كي ايم پانيكار، **آسيا والسيطرة الغربية**، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، 1962م، ص 46.

٦٢- Mahmood Kooria, "Killed the Pilgrims and Persecuted Them": Portuguese Estado da India's Encounters with the Hajj in the Sixteenth Century" in The Hajj and Europe in the Age of Empire, edit., by Umar Ryad under the Leiden studies in Islam and society, Leiden: 2017, Vol. 5, p. 17, 23-25.

بضمان الإمدادات والمؤونات لقواتنا، بحيث إن هذا المكان يعد من أهم المواني التجارية والاقتصادية، وبعد إنجاز هذه الأمور سيكون الوقت قد حان للتفكير في غزو جدة ومكة والسويس والسيطرة عليها، وبما أنه يوجد لدينا الكثير من الخيول في أراضي بريستر جون، وبالتالي سيكون الأمر سهلًا لخمس مائة من الفرسان البرتغاليين أن يصلوا إلى جدة ومنها إلى مكة لتدميرها وتحويلها إلى رماد، وذلك خلال يوم واحد فقط"[٦٣].

ومن هنا، فإن معرفة الظروف التاريخية التي تمت خلالها الرحلات البرتغالية أمر ضروري، فقد كان لها ولأوربا عمومًا في أواخر القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر أهداف خاصة لإعادة تقويم معارفها عن العالم الإسلامي، وكذلك إعادة ترتيب أوراقها لمواجهته بأساليب جديدة قوامها العلم والمعرفة، بالإضافة إلى أسباب عملية ملحة، تلح على الأوربيين مثل تعميق معرفتهم بالنظم السائدة في العالم الشرقي والعربي، ومن هنا، إذا كانت رحلة فاسكو دا جاما (Vasco da Gama) البرتغالي قد انتهت باكتشاف الطريق إلى الهند الذي كان يحتكره المسلمون فإن مهمة الرحالة البرتغاليين والأوربيين أكثر تعقيدًا فيما بعد، ومنهم الرحالة فارتيما موضوع البحث، فقد كانوا مكلفين بوصف عادات الشعوب وتقاليدها، وكتابة تقارير عن جيوشها ومعسكراتها، وحصر منتجاتها الزراعية والصناعية، خصوصًا ذات القيمة التجارية العالمية، وباختصار كانت مهمتهم التجسس الشامل على كل الشعوب والجماعات التي مروا بها خصوصًا الإسلامية منها[٦٤].

هذا، وبجانب الرحالة البرتغاليين قام بعض الرحالة من الروس وإيران في الفترة نفسها بزيارة

٦٣- F. G. Danvers, *The Portuguese in India*, London, 1966, Vol. I, p. 305.

٦٤- من الرحالة الأوربيين نيكولو دا كونتي (1385-1469م) تاجر ومستكشف إيطالي من جمهورية البندقية ولد في شيغيا (Chioggia) وسافر إلى الهند وجنوب شرق آسيا، وربما إلى جنوب الصين في بدايات القرن الخامس عشر، حيث غادر الرحالة نيكولو نحو 1419م، واستقر في دمشق، حيث درس اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وتجول في الدول العربية وآسيا الشرقية على مدى فترة خمسة وعشرين عامًا، وذلك بسبب وجود الأمن والأمان والتسامح الديني الإسلامي المنتشر في البلدان العربية والإسلامية تمكن من الدخول إلى مناطق كثيرة من خلال ركوبه كتاجر على متن السفن التي كان يملكها التجار المسلمون من العرب والهنود. ودون رحلته وذكر كثيرًا من العجائب والغرائب الهندية التي شاهدها خلال وجوده في الهند. لمزيد من التفصيل راجع رحلته في كتاب:

Major, R. H. (ed.). *India in the fifteenth century: Being a collection of narratives of voyages to India in the century preceding the Portuguese discovery of the Cape of Good Hope*, Works issued by the Hakluyt Society, English trans. by J. Winter Jones, Hakluyt Society, London 1857, under the title "The Travels or Nicolo Conti, In the East, in the early part of the fifteenth century", p.1-39.

الهند بغية الحصول على المعلومات السياسية والاقتصادية أو تقوية العلاقات الدبلوماسية مع بعض الإمارات الإسلامية ، منهم الرحالة والمؤرخ الدرباري عبد الرزاق (815-886هـ/ 1413-1482م) الذي زار بيجابور وكليكت والمناطق الهندية الجنوبية الأخرى، كدبلوماسي لسلطان شاه رخ التيموري(٦٥).

رابعًا: تعريف بالرحالة فارتيما ورحلته

على الرغم من أن هذا الرحالة يعد من الرواد الذين طبعت أعمالهم خلال الكشوف البرتغالية، إلا أن المعلومات الشخصية عنه قليلة جدًا نجدها لدى بعض المستشرقين، ومنهم محقق كتابه المستشرق بادجر (George Percy Badger) الذي ذكر بعض المعلومات القليلة عن هذا الرحالة، أو ما ذكره الرحالة نفسه عن نفسه في طيات رحلته، وتفسير ذلك أن فارتيما لم يكن فيه من إيطاليا سوى أنها موضع مولده، ومصدر لغته، أما فيما عدا ذلك فالرجل كان يعمل لحساب ملك البرتغال، الذي موّل رحلته، والذي قدم له نائبه في الهند براءة الامتياز والفروسية وضمه لجيوشه المحاربة في مدينة كاليكت ضد المسلمين(٦٦).

ومع كل هذا الغموض الذي يحيط بحياة فارتيما فهناك إجماع على أنه ولد في بولونيا (Bologna) بإيطاليا، وأنه رحل منها إلى البندقية، وقد ذكر هو في رحلته أن والده كان طبيبًا (٦٧)، وفي عام 908هـ/ 1503م غادر فارتيما مدينة البندقية متوجهًا إلى الإسكندرية ثم زار القاهرة وبيروت، وطرابلس وأنطاكية ودمشق، اجتمع في دمشق مع قبطان مملوكي وصمم على زيارة مكة بصفته مرتدًا مملوكيًا، أي أنه اعتنق الإسلام وارتد عن دينه الأول، في 16 شوال الموافق 14 أبريل غادر دمشق بصفته واحدًا من ستين مملوكًا

٦٥- هو عبد الرزاق بن إسحاق السمرقندي، يلقب بكمال الدين، ولد بمدينة هرات من بلاد فارس عام 816هـ، وتوفي فيها عام 887هـ، عمل عبد الرزاق السمرقندي دبلوماسيًا في حكومة الخاقان السعيد "شاه رخ"، وتقلب في وظائف كثيرة، ومن خلال رحلته تمكن من جمع المعلومات الجغرافية عن الهند وسمرقند وكيلان ومصر والجزيرة العربية، ثم تفرغ للكتابة في عام 867 هجرية، فانتهى من تأليف كتابه المعنون **مطلع السعدين ومجمع البحرين** ، وذلك في عام 872هـ الذي أكسبه شهرة علمية عظيمة، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الوثائق والمصادر التاريخية التي تمدنا بجانب التفاصيل عن الهند الجنوبية بالمعلومات عن المعرفة الجغرافية في ذلك العصر. علمًا أن رحلته في الهند استغرقت ما بين عامي 1442م إلى 1445م. راجع الكتاب التالي:

Muzaffar Alam Sanjay, Subrahmanyam (2007). *Indo-Persian Travels in the Age of Discoveries, 1400–1800*, Cambridge, Cambridge University Press, p. 54–67.

٦٦- يقول الرحالة: "فقد ظللت بعيدًا عن بيتي وحبي سبع سنين محتفظًا بمشاعري الطيبة حيال وطني... ومنحني نائب الملك رتبة الفارس لبعض المقاتلين، وكنت من بين هؤلاء بفضله... راجع: **الرحلة**، ص 286-288.

٦٧- إن والدي كان يعمل طبيبًا في بلدنا، وعرفت بالممارسة ما علمني إياه... راجع: **الرحلة**، ص 263.

خصص لهم مكان في قافلة كبيرة، لعل في الأمر مبالغة، ولكنه يقدر عددها بأربعين ألف رجل وخمسة وثلاثين ألف جمل[68].

واستغرقت الرحلة إلى مكة أربعين يومًا [69]، من ضمنها بضعة أيام توقفت فيها القافلة في المدينة المنورة[70]، إلى أن وصلت إلى مكة في 20 من ذي القعدة الموافق 18 مايو[71]، ومكثت قافلته عشرين يومًا في مكة المكرمة[72]. عند انقضاء العشرين يومًا أصدر قائد القافلة حكمًا بالإعدام على كل من رفض العودة معها إلى سوريا[73]، ولما لم يكن في نية الرحالة فارتيما العودة من الطريق نفسها التي قدم منها، بقي مختبئًا في بيت أحد المماليك الذي كسب صداقته وساعدته زوجته في الوصول إلى جدة حيث أبحر إلى فارس[74]. بعد وصوله إلى فارس قابل فارتيما صديقه في شيراز والذي قابله في مكة، كان يطلق عليه "المعلم ذو النور"، والذي رافقه فارتيما طول رحلته في الهند[75]. من بلاد فارس ارتحل فارتيما إلى الهند وقضى هناك فترة طويلة متجولا في المدن الهندية الجنوبية والجزائر الآسيوية بما فيها سيلان، والملايو، وغيرها، ثم شارك في بعض الحروب التي دارت بين المسلمين والبرتغاليين، ثم غادر كاليكت متوجهًا إلى الجزر الإفريقية فالحبشة ودار حول رأس الرجاء الصالح، وأخيرًا عاد سالما إلى مدينة روما بعد لقاء ملك البرتغال في لشبونة[76].

أقسام الكتاب من الناحية الشكلية

قسم فارتيما كتابه إلى ثمانية أسفار:

1- تناول في السِّفْر الأول ملاحظات عابرة عن القاهرة وبيروت وطرابلس وحلب وحماة ودمشق ، ص 5-15.

٦٨- راجع: **الرحلة**، ص 18.

٦٩- المصدر السابق، ص 18.

٧٠- المصدر السابق، ص 26-28.

٧١- المصدر السابق، ص 36.

٧٢- المصدر السابق، ص 48.

٧٣- المصدر السابق، ص 49.

٧٤- المصدر السابق، ص 49-50-51.

٧٥- حول تفاصيل رحلته في فارس، راجع: **الرحلة**، ص 91-103.

٧٦- حول وصوله إلى لشبونة، راجع: **الرحلة**، ص 298.

2- تعرض في السِّفْر الثاني لجزيرة العرب ببعض التفصيل عن مكة والمدينة ووضعها السياسي والاجتماعي والديني، ص 16-54.

3- أما السِّفْر الثالث فخصصه لبيان بلاد العرب أي اليمن والخليج العربي، ص 55-90.

4- وذكر في السفر الرابع أوضاع بلاد فارس السياسية والاقتصادية والتجارية، ص91-103.

5- أما السِّفْر الخامس والسادس والسابع فقسمها إلى الكتاب الأول (ص 105-134) والثاني (ص135-177) والثالث (ص178-288) على حسب الزمان والمكان، حيث خصص الكتاب الأول لذكر ما يتعلق بجنوب غرب الهند، وتعرض في الكتاب الثاني لأوضاع مالابار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، أما الكتاب الثالث فتناول فيه جنوب شرق الهند وما يجاورها من الإمارات الإسلامية في الجزر الملاوية، عارضًا للأوضاع السياسية والحضارية لكل من جزيرة سيلان، وبورنيو، وجاوا، وملايا.

6- أما السِّفْر الثامن والأخير فذكر فيه أحوال شرق إفريقيا وايتهوبيا، والجزر المختلفة الواقعة في سواحل شرق إفريقيا، ورأس الرجاء الصالح حتى وصل إلى لشبونة ثم إيطاليا.

هذا، وقبل الدخول إلى التفاصيل فيما يتعلق رحلته بالهند، ينبغي أن أذكر هنا بالنقاط بعض الأمور المهمة حول الرحالة فارتيما والتي يجدها القارئ في طيات كتابه، وهي كالآتي:

1- بدأ رحلته بالكذب والخداع ذلك لأنه كان يعمل لحساب ملك البرتغال، الذي وكّله لتسجيل ووصف الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والذي لم يكن ممكنًا له إلا بالتنكر والخداع.

2- هنالك أهمية كبرى لكتاب فارتيما كوثيقة مهمة ترسم صورة حقيقية لأوضاع الهند الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتعدّ معلوماته صحيحة ودقيقة في وصفه لمشاهداته للعادات والتقاليد والعجائب والغرائب التي سجلها في كتابه المذكور. والتي سطرها بأسلوب آخر كثير من الرحالة الأوربيين والعرب قبله وبعده.

3- في كثير من الأحيان نجد المبالغات فيما سطر فارتيما، وهي سمة بارزة في كل ما لم يشاهد ه بنفسه وسمعه من الآخرين، بجانب نظرته الدونية للمسلمين مما ينمُّ ع ن حقد وضغينة وعدم موضوعية، مما جعله في كثير من الأحيان متحيزًا لغير المسلمين والنصارى، ومع كل هذه المآخذ لا يخلو كتابه من دلالات تاريخية على أقل تقدير.

4- وأخيرًا علي أن أذكر البيانات الكاملة للطبعة الإنجليزية التي اعتمدت عليها لإعداد هذا البحث وهي كالآتي:

The travels of Ludovico Di Varthema in Egypt, Syria, Arabia deserts, Arabia felix, in persia, India and Ethiopia. Translated from the original Italian edition of 1510 with a preface by John winter Jones, and with notes and an introduction by George Percy Badger. New York 1863.

الكتاب الأول

انطلق الرحالة فارتيما من ميناء هرمز متجهًا إلى السند حتى وصل إلى ميناء جو (Cheo) الواقع بمدينة كمباية التي يجري فيها نهر الإندس (Indus)، وتظهر أول ملاحظات فارتيما على مدينة كمباية، وعمارتها، وزراعتها وخيراتها، وأعجب بما رآه، فيقول: "والحقيقة أنها جميلة جدًا، عامرة بالغلال والفواكه الطيبة جدًا"[٧٧]. ثم يسجل ملاحظاته حول دور هذه المدينة في التجارة العالمية فيقول: "يتم إنتاج كميات هائلة من القطن هنا، ففي كل عام يتم تحميل أربعين أو خمسين سفينة بالمنسوجات القطنية والحرير التي تصدر للبلاد المختلفة ". وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المدينة كانت تابعة لسلطنة گجرات الإسلامية، التي كان يحكمها آنذاك السلطان محمود بيگره [٧٨]، ولم يدخل فارتيما في التفاصيل حول حياة المسلمين الاجتماعية والدينية مع أنها كانت إمارة إسلامية، وبدلاً من ذلك ركز على إعطاء التفاصيل عن الطوائف

٧٧- **الرحلة**، ص 105-106.

٧٨- بعد سقوط الدولة التغلقية في عام 793هـ/ 1391م، استقل الوالي ظفر خان في ولاية گجرات، ووصلت هذه الإمارة الإسلامية في عهد حفيده أحمد الأول إلى رقي الحضارة، أما السلطان محمود بيگرة (917هـ/ 1511م) فيعتبر عهده الزاهر الذي امتد إلى أربعة وخمسين عامًا، من أعظم الفترات في تاريخ هذه الإمارة الإسلامية، حيث في عهده وصلت هذه الإمارة إلى أقصى اتساع لها. وقد ظهر البرتغاليون على الساحة السياسية بغرب الهند وجنوبها، حيث قام البرتغاليون بتحويل الكثير من النشاطات التجارية بالمحيط الهندي لصالحهم، متجاوزين بذلك تجار مصر والكجرات، ومن هنا تحالف السلطان محمود بيكره في عام 913هـ/ 1507م مع السلطان المملوكي المصري قنصوه الغوري ضد البرتغاليين، ولكن على الرغم من الانتصار البحري الذي حققه الأسطول الإسلامي في أول الأمر على البرتغاليين وإلحاقه الهزيمة بالأسطول البرتغالي قرب منطقة ممبىء، فإن البرتغاليين قد تمكنوا من الاستيلاء على گوا، وهو الأمر الذي اضطر معه السلطان محمود بيگره إلى عقد صلح معهم. راجع للتفصيل : السيد أبو ظفر الندوي، **تاريخ الگجرات الحضاري في العهد الإسلامي** ، دار المصنفين، الهند، 2005م، ص 194، أيضًا راجع: زامباور، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي** ، ترجمة: زكي محمد حسن ورفقائه، دار الرائد العربي، لبنان، 1400-1980م، ص 435-436.

الدينية الهندوسية، خصوصًا الجينية، وعاداتهم وتقاليدهم، في المأكل والمشرب، فيقول: "أما لباسهم فأصفه كالتالي: "بعض منهم يلبس قميصًا، وبعضهم الآخر عراة إلا من قطعة قماش يلفها الواحد منهم حول خصره يمشون حفاة، ويضعون على رؤوسهم قطعة قماش حمراء كبيرة، وألوان بشرتهم سمراء مصفرة..."[٧٩].

ولم يأت بأي ذكر عن علاقة أهالي هذه الإمارة من المسلمين والهندوس والجين مع بعضها البعض، ولكن يدخل في تفاصيل رخاء السلطان وعلاقة الگجرات الإسلامية مع الجيران، خصوصًا مع الملك المجاور (يوگي IOGHI) الذي تبعد إمارته الهندوسية خمسة عشر يومًا على حسب قوله "[٨٠]. وبعد جولته في الكجرات انطلقت رحلته إلى إمارة ملك يوگي المذكور آنفا، ولم يذكر فارتيما اسم هذه الإمارة الهندوسية، ومن ضمن عادات ملك يوگي يذكر فارتيما أنه أي الملك يذهب للحج كل ثلاث أو أربع مصطحبًا معه ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من شعبه، بجانب أهله وأسرته، ويصطحب معه أيضًا بعض الطيور والحيوانات مثل القرود والنمور، وهو يمر بالهند كلها وهو في طريقه للحج[٨١]، لم يحدد فارتيما مكان الحج، وأيضًا بالغ فيما كتب عن عدد الناس المصطحبين معه [٨٢]. وبعد ذلك يدخل في تفاصيل ملابس الأسرة الحاكمة والشعب والمجوهرات التي يستخدمونها عمومًا وبالمناسبات، ولدى وصف الحياة الاقتصادية والزراعية يقول: "وأرض يوگي ليست خصبة جدًا، لذا فهم يعانون من جدب المحاصيل وقلة المؤن، فالجبال في بلادهم أكثر من السهول، والسكان فقراء جدًا وليس في بلادهم مواضع مسورة[٨٣]. والغريب أن فارتيما ذكر مرتين أن السلطان محمود بيكرة دائمًا في حرب مع هذه الإمارة الهندوسية الفقيرة[٨٤]. وقد غادر فارتيما مدينة كمباية ووصل إلى مدينة شول (CEVUL) التي تبعد عن كمباية اثني عشر يومًا على حسب ما ذكره، وفي وصف هذه الإمارة يقول: "إن ملك هذه الإمارة وثني ولكنه يوجد

٧٩- راجع: **الرحلة**، ص 108-109.

٨٠- المصدر السابق، ص 111.

٨١- المصدر السابق، ص 111-112.

٨٢- المصدر السابق، ص 112.

٨٣- المصدر السابق، ص 112-113.

٨٤- المصدر السابق، ص 111.

فيها عدد كبير من التجار المسلمين المساهمين في التجارة "[85]. وهذا يدل على وجود العلاقات الطيبة بين الهندوس والمسلمين.

وحول الأحوال السياسية والاقتصادية يقول: "والعدالة تسير سيرًا حسنًا في هذه البلاد، وليس لدى الملك عدد كبير من المقاتلين، ويملك السكان هنا خيولًا وثيرانًا وأبقارًا بأعداد جمة "[86]. بعد التجول في هذه الإمارة رحل فارتيما إلى مدينة مجاورة من شول يطلق عليها "دابولي Dubuli"، فيقول: "يوجد فيها عدد كبير من جاليات المسلمين التجار، وحسب كلام فارتيما يراعي الملك الهندوسي هنا تحقيق العدالة الاجتماعية بشكل صارم، أما أسلوب الحياة واللباس والعادات والتقاليد في دابولي فهي جميعها تشبه ما رآه وشاهده في مدينة شول"[87].

غادر فارتيما دابولي وتوجه إلى جزيرة "گوا" التي كانت تابعة لسلطنة بيجاپور آنذاك [88]، وقد استولى البرتغاليين على هذه الجزيرة عام 1510م، إلا أن حاكمها عادل شاه البيجابوري سرعان ما طرد البرتغاليين الذين استطاعوا استعادتها مرة أخرى، وقد أدت هذه الجزيرة دورًا كبيرًا في الحياة السياسية والعسكرية للبرتغاليين كقاعدة حربية وتجارية فيما بعد [89]. بعد ما انتهى فارتيما من جولته في هذه المدينة انتقل إلى إمارة بيجابور الإسلامية، وأعجب بما رآه من جمالها وخيراتها وتجارتها المزدهرة، فيقول: "ومدينة الدكن في الغاية من الجمال، وأرضها خصبة جدًا... وهي مدينة مسورة على نسق أسوار المدن النصرانية ومنازلها جميلة جدًا، ويعيش ملك الدكن في أبهة وعظمة... وهذه المملكة عامرة بكل شيء وأهلها جميعًا

٨٥- **الرحلة**، ص 114.

٨٦- المصدر السابق، ص 114.

٨٧- المصدر السابق، ص 115.

٨٨- تجدر الإشارة هنا إلى أن سلطنة بيجابور كانت تابعة لآل بهاني، وهي سلالة أفغانية حكمت في الدكن أي جنوب الهند ما بين 932هـ/ 1526م، ثم انقسمت هذه الدولة فيما بعد وقامت بها أسر عديدة ومنها: العماد شاهيون 980هـ/ 1572م في منطقة برار، النظام شاهيون 1004هـ/ 1595م في أحمد نگر، البريد شاهيون 1018هـ/ 1609م في بيدر أو بدر، العادل شاهيون 1097هـ/ 1686م في بيجاپور، القطب شاهيون 1098هـ/ 1687م في گولكنده، وكان انقراضها جميعها على يد أباطرة المغول. حول تاريخ هذه الإمارات الإسلامية راجع: السيد أبو ظفر الندوي، **مختصر تاريخ هند**، دار المصنفين أكاديمية شبلي النعماني، الهند، 2006م، ص 117-141.

٨٩- لمزيد من التفاصيل راجع : هامش **الرحلة**، ص 115.

من المسلمين "[٩٠]. وهنا بالغ فارتيما لأن من المعلوم تاريخيًا أن المسلمين دائمًا كانوا أقلية في الهند حتى في المناطق التي كان لهم حضور قوي ودور بارز في مجال السياسة والاقتصاد والتجارة، وتشير المصادر إلى وجود العناصر الهندوسية المحلية في البلاط الملكي البيجابوري، وهذا يدل على التسامح الديني والإسلامي مع غير المسلمين، وعدم إكراههم على اعتناق الإسلام[٩١].

ويصف فارتيما لباس المسلمين في بيجابور، فيقول: "ويتكون لباسهم من الأثواب أو القمصان الحريرية رائقة الجمال ويلبسون أحذية، وسراويل قصيرة كتلك التي يرتديها البحارة، أما النساء فمحجبات كنسوة دمشق"[٩٢]. لم يذكر فارتيما الحياة الدينية والعلاقات التجارية الخارجية والداخلية، وكذلك لم يشر إلى علاقة المسلمين مع غير المسلمين. ثمة إشارة إلى الحياة العسكرية فيقول: "إن ملك بيجابور الإسلامية دائمًا في حالة حرب مع ملك ناراسنگها (Narsinge)". ثم يصف ملك بيجابور فيقول: "وملك هذه البلاد قوي جدًا وثري جدًا، ومتحرر في المسائل الدينية، وهو يمتلك بالإضافة لذلك أسطولًا بحريًا وهو عدو لدود للنصارى"[٩٣].

بعد زيارة إمارة بيجابور انتقل فارتيما إلى المدن الساحلية الغربية مثل "بهتكل Bathacala" و"سنتا كولا "، وجزيرة أنزديفا "Anzedive" و "أنور" و "منگلور"، ووصف هذه المناطق بأنها رائعة وجميلة، وركز على بيان دور هذه المناطق التجارية والاقتصادية، ودقق فيما يتعلق بوجود عدد المسلمين في هذه المناطق وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ودورهم التجاري والاقتصادي والعسكري بجانب الكلام عن العادات والتقاليد في الملبس والمأكل، فيقول: "ويوجد في هذه المناطق الساحلية عدد كبير من التجار المسلمين نظرًا لأنها مركز تجاري مهم، خصوصًا "منگلور" التي تقوم بدور كبير في تصدير المواد الغذائية خصوصًا الأرز حيث كان به أكثر من خمسين أو ستين سفينة محملة بالأرز"[٩٤].

وأما عن ملابس أهل هذه المناطق خصوصًا الهندوس فيقول: "هم يسيرون عراة إلا من أقمشة يلفونها حول خصورهم، ويوجد هنا أرز كثير، كما هو مألوف في الهند... كما توجد الحيوانات والطيور...

٩٠- راجع: **الرحلة**، ص 118.

٩١- حول الهندوس وأهميتهم في هذه الإمارة الإسلامية راجع: بشير الدين، **واقعات مملكة بيجاپور**، طبعة الهند.

٩٢- **الرحلة**، ص 118.

٩٣- المصدر السابق، ص 118.

٩٤- المصدر السابق، ص 119.

وتتوفر هنا لحوم الأبقار والأغنام بكميات كبيرة[95].

بعد الانتهاء من جولاته في هذه المناطق الساحلية يدخل إلى إمارة هندوسية وجيانگر التي كان يحكمها آنذاك ملك نارسنگها، يصف فارتيما هذه الإمارة فيقول: "وهي مدينة كبيرة ومحصنة بسور قوي، وتقع على جانب جبل، ولها سور ثلاثي أي ثلاثة أسوار متتالية، وهي عامرة بالبضائع، وأرضها خصبة جدًا، وبها كل أنواع الأطعمة اللذيذة... ولم أشهد هواء أرق ولا أطيب من هوائها... وملك هذه البلاد وثني وكذلك كل رعاياه، وهو ملك في غاية القوة ويحتفظ بشكل دائم بأربعين ألف فارس..."[96].

بجانب ذكر الحياة الاقتصادية والزراعية يعطي فارتيما المعلومات الدقيقة عن النقود، وعن بعض الحيوانات مثل الفيل، حيث تحظى الفيلة من فارتيما بروايات طويلة فيما يتعلق بدورها في الحياة العسكرية والتجارية وغيرها[97]. ومع أن فارتيما يذكر أن هذه الإمارة الهندوسية خالية من وجود المسلمين إلا أنه يذكر تأثير الثقافة الإسلامية في بعض العادات والتقاليد، فمثلًا حول ملابس العامة والخاصة يقول: "أما عن لباسهم، فالرجال ذوو الوضعية الاجتماعية العالية يلبسون قمصانًا قصارًا، ويضعون على رؤوسهم حريرية موشاة بالذهب على النمط الإسلامي، أما الناس العاديون فيسير الواحد منهم عاريًا إلا من قطعة قماش حول خصره[98].

وينهي فارتيما كتابه الأول عن الهند، بذكر وجود العلاقات السياسية والاقتصادية مع البرتغاليين فيقول: "وملك هذه البلاد صديق كبير للمسيحيين، خصوصًا ملك البرتغال، فهو لا يعرف كثيرًا عن مسيحيين آخرين وعندما يصل البرتغاليون لبلاده يستقبلونهم بترحاب كبير"[99].

الكتاب الثاني

خصص فارتيما الكتاب الثاني لذكر الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لمدينة كاليكت (Calicut) عاصمة إمارة مالابار التي تطلق عليها اليوم "كيرالا" والتي تقع على آخر جنوب الهند، فسطر فارتيما ما صادف من العجائب والغرائب في هذه المنطقة، ويبدأ كتابه الثاني قائلًا: "حان

٩٥- المصدر السابق، ص 121-122.

٩٦- المصدر السابق، ص 125-126.

٩٧- المصدر السابق، ص 129-130.

٩٨- المصدر السابق، ص 130.

٩٩- المصدر السابق، ص 131.

الوقت الملائم أن أبدأ كتابي الثاني لأقدم فيه للقراء بفئاتهم المختلفة أمورًا في غاية الأهمية، كما أنها أمور ممتعة ذهنيًا، بالإضافة إلى أنها تشكل حافزًا يزيد من شغفنا بالرحلة حول العالم، ويزيد من معارفنا التي تخدم أهدافنا..."[100].

وبدأ يصف فارتيما ما رآه من مدينة كاليكوت، فيقول: "ليس لهذه المدينة سور، وهي تمتد نحو ميل، ومساكنها متلاصقة، ثم تأتي المنازل الواسعة، وهي متباعدة من بعضها بعضًا، وتغطي مساحة تبلغ حوالي ستة أميال، ولا تبنى للمنازل حتى لقصر الملك غرف علوية، والسبب في ذلك أنهم عندما يحفرون الأرض إلى عمق أربعة أشبار أو خمسة يجدون ماء، لذلك لا يستطيعون بناء منازل ضخمة"[101].

ويحظى ملك كاليكوت من فارتيما صفحات عديدة خصصها الأخير لذكر ما يتعلق بعقيدة الملك الدينية وعاداته وتقاليده في تناول الطعام والملبس، ومعيشته وقصره وما يحتوي من الكماليات، فيقول: "ملك كاليكوت وثني ويعبد الشيطان، والشعوب على دين ملوكهم، فهو وشعبه يعتقدون أن هناك إلهًا هو الذي خلق السماء والأرض وكل العالم، وإذا أراد أن يقضي على أحد، فيرسل روحه التي هي الشيطان إلى العالم لتحقيق قضائه، وبالنسبة للخير والشر فإنه من يعمل خيرًا، يجزيه الله بالخير، ومن يفعل شرًا يجزيه بالشر، وهم يسمون الشيطان "ديو" أما الله فيطلق عليه بلغتهم "تاميراني Tamerani"، ومعابد الملك وشعبه مليئة بتماثيل "ديو"[102].

ثم يرصد فارتيما مظاهر وطرق عبادة الأوثان والشياطين وكيفية تقديم القرابين والأضاحي الحيوانية لها[103]. وحول عادة الملك في أكل الطعام يذكره بدقة بالغة وبالتفصيل، فيقول: "عندما يرغب ملك كاليكوت في تناول طعامه، فقبل أن يقدم طعامه له يحمله أربعة من البراهمة إلى المعبد لاجتياز بعض الطقوس الدينية أمام الشياطين أي "ديو"، ثم يستطرد في ذلك فيقول: "ويوضع الطعام في آنية خشبية بها ورقة شجر كبيرة، حيث يكون الطعام المكون من الأرز وغيره فوق ورقة الشجر، ويتناول الملك طعامه على الأرض، دون مائدة، ويكون البرهميون واقفين حوله على بعد ثلاث خطوات أو أربع وقد أبدوا له كل مظاهر التبجيل والاحترام، ويظلون منحنين عاقدين أيديهم على أفواههم، وليس لأي واحد البتة أن

١٠٠- راجع: **الرحلة**، ص 135.

١٠١- المصدر السابق، ص 136-156.

١٠٢- المصدر السابق، ص 136-137.

١٠٣- المصدر السابق، ص 138-139.

يتكلم أثناء تحدث الملك، إنما يقفون مصغين لكلماته بتوقير وإجلال شديد، وعندما ينتهي الملك من تناول وجبته يأخذ البرهميون سالفو الذكر ما تبقى من طعامه ويحملونه إلى ساحة القصر ويضعونه على الأرض، ثم يقومون بالتصفيق بأيديهم ثلاث مرات فيتجمع عدد كبير من الغربان السود فيلتهمون هذا الطعام، وقد درب البرهمون هذه الغربان لهذا الغرض"[104].

وحول أنواع طعام الملك والأشراف يقول فارتيما: "أما فيما يتعلق بطعام الملك والأشراف فهم لا يأكلون اللحوم إلا بإذن البراهمة، أما أفرادها فيأكلون مختلف أنواع اللحوم باستثناء لحم البقر، أما الطبقة المنبوذة فتأكل الفئران والأسماك بعد تجفيفها في الشمس "[105]. وأعجب ما رآه فارتيما استهتار الملك وشعبه الهندوس في المسائل الجنسية، فيقول: "عندما يريد الملك أن يتزوج فإنه يختار أكثر هؤلاء البراهمة ثراء وكرمًا ممتدًا، ليضاجع زوجته - أي زوجة ملك - في الليلة الأولى من عقد قرانه أي الملك - عليها، ليفض بكارتها[106]. ولا تظن أن البراهمة يقومون بهذه المهمة راغبين فرحين، وإنما يتعين على الملك أن يدفع له لقاء ذلك أربعمائة دوكات أو خمسمائة، ولا يمارس هذا العمل (تكليف البرهمي بفض بكارة زوجته) في كليكوت - سوى الملك[107].

١٠٤- للتفصيل راجع: **الرحلة**، ص 140-141.

١٠٥- المصدر السابق، ص 143.

١٠٦- ويبدو أن مثل هذه العادات البشعة كانت سائدة آنذاك في معظم المناطق الجنوبية حيث يذكر بادجر مترجم كتاب فارتيما نقلا عن الرحالة هاملتون ما يلي: "عندما يتزوج السامورين أي الملك (Samorin) فإنه يجب ألا يضاجع زوجته إلا بعد أن يقوم النامبوري (Nambouri) وهو رئيس الكهنة - بمضاجعتها، وإذا سر من مضاجعتها فإنه يقضي معها ثلاث ليال لأن أول ثمار زواجها يجب أن يكون قربانًا مقدسًا للإله الذي تعبده العروس، وقد أكد بوشانن (Buchanan) ذلك أيضًا في كتابه راجع: Pinkertows Voyages, Vol.3, pp. 374-734

١٠٧- تؤكد المصادر العديدة على وجود وشيوع مثل هذه الانحرافات الجنسية في المجتمع الهندوسي في كل من كليكوت وسيلان وغيرها من المناطق الجنوبية الهندية، ثم تسربت من الملوك والأغنياء إلى عامة الشعب، فيذكر فارتيما في رحلته إلى المناطق الهندية الساحلية، من ضمن عادات وتقاليد مدينة تارناساري: "ملك المدينة التي ذكرتها آنفًا لا يسمح للبرهميين بفض بكارة عروسه، وهو في هذا عكس ملك كليكوت، ولكنه يسمح للرجال البيض بذلك، سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين، وهؤلاء الوثنيون، يبحث الواحد منهم عن رجل أبيض من أي بلد كان، ويصحبه إلى بيته، ليفض له بكارة عروسه قبل أن يبني بها، ولقد حدث لنا عند وصولنا لهذه المنطقة المذكورة أعلاه، فقد قابلنا بالصدفة ثلاثة تجار بدءوا يتحدثون مع رفيقي بهذا الشأن.. "، ثم يدخل فارتيما في التفاصيل حول ذلك=

ومن الظواهر اللافتة للنظر التي يرصدها فارتيما من حياة الملك الاجتماعية "أنه إذا مات وكان له أبناء ذكور أو إخوة أو أبناء أخ فإن أيا منهم لا يخلفون في الملك وإنما يخلف أحد أبناء أخته، وإذا لم يكن للأخت ابن، خلفه أقرب أقربائه، وقد سادت هذه العادة، لأن البراهمة لهم حق فض بكارة الملكة، وعندما يسافر الملك، يقوم أحد البراهمة حتى ولو لم يتجاوز عمره العشرين، بالبقاء مع الملكة في المنزل، ويشعر الملك بامتنان شديد إذا ضاجع هذا البرهمي زوجته (الملكة)، ولذا فمن المؤكد أن الملك وأخته قد ولدا من صلب واحد، وبالتالي فهي ـ أي أخته ـ أكثر قرابة مؤكدة له من أبنائه (أبناء الملك)، ومن هنا، فوراثة الملك تكون لأبناء أخته"(١٠٨).

وحول الطقوس الدينية والاجتماعية لدى وفاة ملك يقول فارتيما: "ويحلق كل الناس في المملكة لحاهم ورؤوسهم عند موت الملك... ويحظر على صائدي الأسماك عملية الصيد لثمانية أيام متتالية، ويمارس الناس مثل هذه العادات ذاتها إذا مات أحد أقرباء الملك، كنوع من الوفاء لقريبه الميت، فإن الملك لا يضاجع زوجته مدة عام"(١٠٩).

بعد ما فرغ فارتيما من ذكر العادات والتقاليد التي كان يمارسها الملك والكهنة والبراهمة، ذكر بالتفصيل نظام الطبقات الهندوسية الجائر، مشيرًا إلى شدته وقسوته وفضله بين طبقة وطبقة، فقسم إلى

= وما قام صديقه الفارسي بـزوجة التاجر، ويختتم بقوله: "ولما أدى واحد منا هذه الخدمة لهم، فكانوا على استعداد لاستضافتنا، وهم سعداء، لأربعة أشهر أو خمسة، على نفقتهم، فكل ما يتطلبه الإنسان لا يكلف كثيرًا بالإضافة لأنهم قوم متحررون وظرفاء "، وينبغي هنا أن أذكر تعليق مترجم الكتاب بادجر، حيث يقول: "لم أجد ما يؤكد هذا الفعل المشين والفاضح... وعلى أية حال فإن هذه العادة الغريبة التي تلوث كل الروابط الزوجية... ولا أجد أي سبب للتشكيك في رواية فارتيما؛ لأن هناك روايات وردت عن شيء مشابه شائع في منطقة مجاورة من أركان (Aracan)، فالعذرية ليست أمرًا مهمًا بالنسبة لهم، والأزواج كانوا يفضلون أن يكونوا آباء لأولاد الآخرين أكثر من تفضيلهم للبكر أو الفضلة. راجع، ص 202–204.

١٠٨– راجع: **الرحلة**، ص 143–144.

١٠٩– المصدر السابق، ص 144 هذا، ويذكر فارتيما في مكان آخر حول هذه العادات والطقوس الدينية، فيقول: "ولهذا الملك عادة أخرى، فعندما يموت واحد من ذوي قرباه، ينتظر حتى تنتهي سنة الحداد، ثم يدعو كل رؤساء البراهمة في مملكته، وبعض البراهمة من خارج مملكته، ليقيموا حفلًا كبيرًا، لثلاثة أيام متتالية... وبعد قضاء الأيام الثلاثة يقدم الملك لكل رئيس برهمن، مالًا معلومًا، ثم يعود كل إلى منزله، ويقوم كل فرد من أفراد المملكة بحلق لحيتهم ابتهاجًا..."، راجع: ص 175.

ست طبقات ما وجدها آنذاك، ويبدو أن البراهمة بعد وصولهم إلى القوة والبطش وضعوا مرسومًا جديدًا للمجتمع الهندي، وألفوا في ذلك قانونًا مدنيًا وسياسيًا، واجتماعيًا، اتفقت عليه الطبقات كافة فأصبح قانونًا رسميًا ومرجعًا دينيًا في حياة البلاد ومدنيتها في شمال الهند وجنوبها[110].

وقد قسم فارتيما المجتمع الهندي الجنوبي إلى ست طبقات مهمة: 1. البراهمة، 2. النيري Naeri، أي النبلاء والأشراف، 3. تيوا Tiva أي الحرفيون، 4. مچهوا Mechua، وهم صائدو الأسماك، 5. پوليار Poliar، وهم يجمعون الفلفل والبندق والجوز ويعصرون الخمر، 6. هيرافا Hirava، أي رجال الزراعة[111].

ثم يزيد قائلًا: "والطبقتان الأخيرتان وهما البهليار والهيرافا لا يقترب أفرادهما من أفراد طبقة النيري أو البراهمة، وإنما يبقون على بعد خمسين خطوة من أي واحد من الطبقتين المذكورتين إلا إذا سمحت لهم بالاقتراب، وهم أي أفراد طبقتي ال بهليار والهيرافا لا يسيرون إلا خلال طرق خاصة عبر المستنقعات، وهم في سيرهم عبر هذه الطرق يصيحون بأصوات عالية حتى لا يلتقون بالنيري أو البراهمة، وإذا حدث أن توقف أفراد هاتين الطبقتين عن الصياح بأصوات عالية وكان أي من أفراد النيري يسير في الطريق ذاته والتقى بأحد من البهليار والهيرافا فإن النيري يستطيع قتله دون أن يتحمل أي عقاب... "[112]، وهذا يدل على الامتيازات التي كانت طبقة البراهمة تتمتع بها، ومنحتهم مثل هذه القوانين الصارمة الامتيازات والحقوق التي ألحقتهم بالآلهة.

ومن أغرب عادات هذه الطبقات المذكورة آنفًا فيما ذكر فارتيما يكون للمرأة خمسة أزواج أو ستة أو سبعة، بل وأحيانا ثمانية، وينام كل منهم معها ليلة، وعندما تنجب فإنها هي التي تحدد والد الطفل، وهكذا يتحدد النسب بكلمة منها[113].

١١٠– لقد تناول الفيلسوف والمؤرخ الهندي البيروني في كتابه الطبقات التي وجدها في زيارته في شمال الهند، فقد ذكرها على حسب ما قسم القانون منوشاستر إلى أربع طبقات ممتازة وهي: 1. البراهمة أي طبقة الكهنة ورجال الدين، 2. چهتري أي رجال الحرب، 3. ويش: رجال الزراعة والتجارة، 4. شودر: رجال الخدمة. راجع للتفصيل: أبو الريحان البيروني، **كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، الذخائر، القاهرة، 2003م، باب في ذكر الطبقات، ص 75–80.

١١١– راجع: **الرحلة**، ص 141–142.

١١٢– المصدر السابق، ص 142.

١١٣– المصدر السابق، ص 145–147، تعدد الأزواج الذي شاع في كليكوت تناوله أيضًا الرحالة نيكولودي كونتي

ومن الملاحظ أن مسألة العدالة في الهند كانت محل إعجاب من أمد بعيد، لدى الرحالة العرب والأوربيين[١١٤]، حيث يناقش فارتيما هذه القضية بإعجاب شديد بعد ما رأى ضبط العدالة والقوانين الصارمة حول ذلك، ونضرب هنا مثالًا واحدًا مما كتبه: "إذا اقترض أحد فعليه أن يدفع دينه في الوقت المتفق عليه، فلو لم يفعل ذلك، فمن حق المقرض أن يأخذ الغصن الأخضر بيده ولدى مقابلته مع المدين يرسم بهذا الغصن دائرة حول المدين، ثم يقول ثلاث مرات: إنني أطالبك بحق رؤوس البراهمة ورأس الملك ألا تغادر هذه الدائرة حتى تدفع لي كل حق، ففي هذا الحال عليه أن يرضيه أو يبقى داخل هذه الدائرة حتى الموت... وإذا حدث وهرب من هذه الدائرة ولم يسدد دينه، فإن الملك يقتله"[١١٥].

أما عقائد الهندوس الشعبية فيرصد فارتيما منها، تبركهم بالأفاعي والعقارب، والتماسيح وغيرها من الحشرات والحيوانات السامة، فيقول: "ويجب أن تعلم أنه إذا علم ملك كليكوت بمكان إحدى أعشاش هذه الكائنات المؤذية، أقام فوقها منزلًا صغيرًا خوفًا من تلويثها الماء، وإذا قتل أحد

وعبد الرزاق، ولكن الاختلاف يوجد فقط في التفاصيل، راجع: *The Travels or Nicolo Conti, In the East, in the early part of the fifteenth century* وتنبغي هنا الإشارة إلى ما ذكره بادجر نقلًا عن الدكتور بوشانان فيقول: "يتزوج النير قبل بلوغ الواحد منهم سن العاشرة... إلا أن الزوج لا يضاجع زوجته، ويمكننا أن نعد هذه الأمور شيئا بذيئًا وفاحشًا، والزوج في هذه الحالة ينفق على زوجته فهو يتكفل بما تحتاج من دهان وملابس وزينة وطعام، إلا أنها مع ذلك تعيش في بيت أمها، وإذا مات والدها فإنها تعيش مع أخيها، ويضاجعها في هذه الأثناء أي شخص يقع عليه اختيارها سواء من طبقتها أو من طبقة أعلى من طبقتها، ولا يعيب المرأة الوثنية بأية حال أن تقول أنها أقامت علاقات جنسية مع أشخاص عديدين، بل العكس هو الصحيح فالمرأة من النير تفخر بكثرة عشاقها من البراهمة والراجوات والأمراء الهنود، وغيرهم من ذوي الطبقات العليا... ونتيجة هذه الأوضاع الغريبة فلا أحد من النير يعرف أباه وينظر كل فرد منهم إلى أولاد أخته باعتبارهم ورثته. للتفصيل راجع: هامش **رحلة فارتيما**، ص145–146.

١١٤– يذكر الرحالة العرب الإدريسي في كتابه فيقول: "وبسط العدل في أهل الهند طبيعة هؤلاء لا يعولون على شيء سواء ولفضل عدالتهم وحفظ عقودهم وحسن سيرهم ذكروا أنهم وجملة أهل تلك البلاد في خير...راجع الإدريسي: **كتاب نـزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دون تاريخ، ص189.

١١٥– راجع **الرحلة** ص 148/ وينبغي هنا أن أذكر ما كتبه الرحالة العربي الإدريسي حول ذلك: "ومن انقياد عوامها للحق واتباعهم له وكراهيتهم للباطل أن الرجل يكون له عند أحد منهم حق فيلقاه حيث ما لقيه فيخط له خطا في الأرض كالحلقة ويدخله الطالب في تلك الحلقة فيدخلها المطلوب طائعًا من ذاته ولا يبـرح منها إلا بإنصاف عنه وأداء ما لـزمه أو يعفو عنه الذي له الحق فيخرج عن الحلقة." راجع: الإدريسي، **نزهة المشتاق** ص189.

الأشخاص إحدى هذه الكائنات أعدمه الملك في الحال، ويسري الحكم نفسه على كل من قتل بقرة، فهم يقولون إن هذه الكائنات المؤذية هي أرواح الله"(١١٦).

وما إن فرغ فارتيما من ذكر هذه العجائب والغرائب، يذكر أحوال النظم العسكرية فيقول: "يتدرب هؤلاء الوثنيون ـ بشكل عام ـ يوميًا، بالسيوف والتروس والرماح، وعندما يذهبون للقتال يحتفظ ملك كاليكوت دائمًا بمائة ألف من المشاة لأنهم لا يستطيعون استخدام الخيول، ويصحب بعض الفيلة لاستخدامه الشخصي فقط... وفي بعض الأحيان يركب الملك فيلًا، ودائمًا ما تصاحب الملك الآلات الموسيقية المتعددة، ويدفع الملك لكل واحد من النيري أربع كارلينات (اسم العملة السائدة) في الشهر، أما في أثناء الحرب فيدفع كل واحد نصف دوكات، وهم يعيشون من هذه الرواتب... وعندما يموت واحد من النيري فإنه يحرق في حفل كبير للغاية، ويحفظ بعض الناس رماد جثته، أما الناس العاديون فإن الواحد منهم إذا مات دفنوه في منزله"(١١٧).

وبما أن الزراعة كانت المصدر الأساس للاقتصاد الهندي، فقد اهتم ملوك الهند وشعبه بتنمية الثروة الزراعية، ومن هنا نجد فارتيما اختص أربع صفحات كاملة لذكر البهارات والفواكه، ومن أشهر البهارات الكثيرة الزراعة: الفلفل، والزنجبيل، والأملج (Emblic) والسمسم، وغيرها، أما الفواكه المشهورة فهي: الأمبج، والموز وأنواعها العديدة، والجوز الهندي، والبطيخ وغيرهما، وقد خصص فارتيما صفحة كاملة لوصف فاكهة "الكاكاو Cocoa"، واعتبرها أفضل أشجار العالم، و يطلق عليها في كاليكوت (Tenga)، ويذكر فارتيما فوائد هذه الشجرة، فيقول: "ومن هذه الشجرة يستفيدون بعشر فوائد، فأخشابها وقود، وجوزها طعام، وأليافها تستخدم في الملاحة البحرية، ومنها يصنعون أنسجة تبدو كالحرير، يكفنون بها موتاهم، كما يصنعون منها فحمًا ممتازًا، ومنها يستخرجون نبيذًا، وماء وزيتًا وسكرًا، ويغطون مساكنهم بأوراقها... ونظرًا لفائدة هذه الشجرة فإن السلام يمكن أن يسود بين ملكين تحاربا وقتل كل منهما أبناء الآخر، لكنه لا يمكن أن يسود إذا قطع أحدهما أشجار الكاكاو التي يمتلكها الآخر"(١١٨).

وحول التجارة الداخلية والخارجية ودور المسلمين في ازدهارها ورقيها يقول فارتيما: "وعندما

١١٦- راجع: **الرحلة**، ص150.

١١٧- راجع: **الرحلة**، ص173-174.

١١٨- راجع: **الرحلة**، ص159-160-162-166.

كنت في كليكوت وجدت عددًا كبيرًا جدًا من البشر الذين ينتمون إلى أجناس مختلفة ومن بلاد مختلفة... فسألت وعلمت أنه يوجد هنا عدد كبير جدًا من التجار المسلمين الذين جاؤوا من البلاد العربية ومن المناطق الهندية ومن البلدان الواقعة بجوار الهند، وتجدر الإشارة إلى أن الوثنيين من أهل البلاد لا يبحرون كثيرًا، لذا فالمسلمون هم الذين يجلبون البضائع، إذ يوجد في كليكوت 15000 مسلم على الأقل مما يجعلهم يشكلون أكثرية أهل البلد"[١١٩].

وينبغي هنا الإشارة إلى أن فارتيما المتعصب اكتفى بذكر عدد المسلمين ودورهم التجاري والاقتصادي في سطر من هذه السطور المذكورة أعلاه، ولم يذكر أي شيء عن طبيعة علاقة المسلمين مع أهالي هذه المنطقة وملوكها وشعبها، مع أنه دقق في كل ما يتعلق بوضع الهندوس السياسي والاجتماعي والديني وعاداتهم وتقاليدهم وعلاقات بعضهم ببعض. وإذا دل هذا على شيء فإنما يدل على حقد فارتيما وضغينته وكراهيته حيال المسلمين ونشاطاتهم التجارية والاقتصادية والدينية.

وما إن فرغ فارتيما من تسجيل رحلته في الكتاب الثاني، بدأ يسجل ما رآه في جولته الثالثة للمناطق الهندية الجنوبية الشرقية.

الكتاب الثالث

زار فارتيما في هذه الجولة الأخيرة للهند مناطق عديدة منها الواقعة في داخل الهند وخارجها، نستطيع أن نرصد وقائعها في النقاط التالية:

1- سلك فارتيما نهرًا في هذه الرحلة لمشاهدة المدن الواقعة على جنوب الهند الشرقية، فذكر ما شاهده من وجود الأجناس العديدة من الهندوس والمسلمين والنصارى، وأحوالهم التجارية والاجتماعية[١٢٠].

١١٩- راجع : **الرحلة**، ص151-152/ وتنبغي هنا الإشارة إلى ما كتبه بادجر حول قضية الملاحة الهندية، فيقول: "ومما لا شك فيه كراهية الهندوس للبحر لاعتبارات دينية أو لفطرتهم التي جبلوا عليها أو لمزاج من هذه المشاعر معًا-هذه الكراهية أيا كان سببها-جعلت الملاحة في المحيط الهندي منذ عهود قديمة في أيدي العرب الأكثر مهارة في هذا المضمار مما جعلهم يسودون الملاحة في بحري العرب والهند بلا منازع. وقد لاحظ ماركوبولو كراهية الهندوس ذات الطابع الديني للبحر الذي ذكر عند حديثه عن عادات أهل مالابار...راجع : هامش **رحلة فارتيما** ، ص151،152.

١٢٠- راجع : **الرحلة**، ص178-186.

2- وصل إلى جزيرة سيلان، وشاهد وضعها السياسي والاقتصادي والزراعي والعمراني، ومن ضمن خيراتها كتب كثيرًا عن الفواكه والأحجار الكريمة والحيوانات والبهارات خصوصًا "شجرة القرفة Canella"، وأهميتها وفوائدها[١٢١].

3- وقد استطرد فارتيما في وصف بعض العادات الغريبة والطقوس الدينية مثل كيفية حفظ أجساد الموتى، وإحراق الزوجات حية مع أزواجهن المتوفين، ذلك كله مع المقارنة بما رآه في المدن الجنوبية الهندية الغربية[١٢٢].

4- عاد فارتيما من جزيرة سيلان فزار إمارة بنگال الإسلامية [١٢٣]، ودهش بما رآه في عاصمة "جور" البنگالية من التقدم التجاري والاقتصادي، يقول: "لقد وصلنا إلى مدينة بنكالا في أحد عشر يومًا، وهي إحدى أفضل المدن التي رأيتها وهي عاصمة مملكة عظيمة، وسلطانها مسلم ولديه جيش مكون من مائتي ألف مقاتل بين راجل وفارس، وجميعهم مسلمون، وهذه المنطقة تزخر بالغلال واللحوم من مختلف الأنواع، وبكميات كبيرة من السكر والزنجبيل، وكميات هائلة من القطن، أكثر مما هو موجود في أي منطقة بالعالم، ويتم تحميل خمسين سفينة كل عام من هذا الميناء بالقطن والأثواب الحريرية، وتصل إلى بلاد الأتراك، وسوريا، وفارس وبلاد العرب السعيدة وسواحل شرق إفريقيا، وبجانب ذلك توجد هنا تجارة مزدهرة في الجواهر التي ترد هنا من بلاد أخرى..." [١٢٤].

١٢١- المصدر السابق، ص188-191.

١٢٢- المصدر السابق، ص202-204-206.

١٢٣- كانت منطقة بنگال تابعة لسلطنة دهلي إلى أن استقلت منها في عام 737هـ/ 1336م واستمرت كإمارة مستقلة إلى عام 984هـ/ 1576م، حكمت خلال هذه الفترة سلالة ملكية عديدة، ومن أشهرها سلالة إلياس شاه 746-817هـ/ 1345-114م، وسلالة الأحباش 892-899هـ/ 1487-1494م، وسلالة سيد حسين شاه 899-946هـ/ 1494-1539م، وسلالة الأفغان السوريين 946-971هـ/ 1539-1564م، وسلالة سليمان الكراراني 971-984هـ/ 1564-1576م، إلى أن تم إلحاق هذه الإمارة بالدولة المغولية، ذلك بعد الغـزو المغولي الهندي في السلطان أكبر شاه التيموري. راجع : كليفورد.ا. بوزورث: **الأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دراسة في التاريخ والأنساب**، ترجمة سليمان إبراهيم العسكري، مؤسسة الشراع العربي، الكويت ط2: 1995م ص263-266.

١٢٤- راجع **الرحلة**، ص210-211.

5- بجانب الكلام عن ازدهار هذه المدينة الإسلامية تجاريًا واقتصاديًا، تناول فارتيما وضع النصارى واليهود التجاري والاقتصادي وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم [125]، ولكن بسبب تعصبه الشديد ضد الإسلام والمسلمين، لم يدخل إلى التفاصيل فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والدينية في هذه الإمارة الإسلامية، ووجود التسامح الديني المنتشر مما جعل الجاليات النصرانية واليهودية تستقر فيها، وتمارس الحياة التجارية والاقتصادية بكل حرية وأمان. على أية حال لدى مغادرته من بنكال الإسلامية، يقول: "وغادرنا مدينة بنكال التي أعتقد أنها أفضل مدينة في العالم يمكن للمرء أن يعيش فيها"[126].

6- غادر فارتيما منطقة بنكال متوجها إلى جزر شرق آسيا، فزار كلاً من جزيرة پيگو [127]، سومطرة[128]، جزيرة باندان[129]، جزيرة بورنيو (بورنائ الحالية)[130]، جزيرة جاوا[131]، وغيرها من الجزر التي تقع معظمها الآن في دولة إندونيسيا، وقد ركز فارتيما في زيارته إلى هذه المناطق على بيان ما يتعلق بالأوضاع الاقتصادية والتجارية [132]، وكتب كثيرًا عن البهارات مثل الفلفل، والحرير واللبان[133]، والعود الهندي[134]، وجوز الطيب، والقرنفل، والقرفة [135]، هذا بجانب ذكر عاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم، مع بيان بعض الغرائب والعجائب[136].

١٢٥- للتفصيل راجع : المصدر السابق، ص212-213.

١٢٦- راجع **الرحلة**، ص 214.

١٢٧- المصدر السابق، ص215.

١٢٨- المصدر السابق، ص228-242.

١٢٩- المصدر السابق، ص243-244.

١٣٠- المصدر السابق، ص246.

١٣١- المصدر السابق، ص246-258.

١٣٢- المصدر السابق، ص258.

١٣٣- المصدر السابق، ص259.

١٣٤- المصدر السابق، ص260.

١٣٥- المصدر السابق، ص260.

١٣٦- المصدر السابق، ص260.

7- بعد عودته من هذه الجزر الشرقية [137]، وصل إلى كاليكوت التي كانت تدور فيها الحروب العسكرية بين التجار المسلمين والبرتغاليين، ومن هنا فكر فارتيما المتعصب والمخادع في الهروب إلى أسطول برتغالي لإخباره بما كان يعرف عن الوضع العسكري في مدينة كاليكوت، وقابل بالصدفة النصرانيين اللذين كانا يعملان لدى ملك كاليكوت في صناعة المدافع الحربية، فنبههما وحثهما على ألا يفعلا من هذه الأعمال التي تضر بالمسيحيين [138]. وفكر جديًا في الهروب إلى أسطول البرتغاليين الحربي، لكي يخبرهم بما يجري في مدينة كاليكوت، وذلك من خلال التنكر والنفاق وخداع أهالي كاليكوت الذين قدموا له خدمات كثيرة خلال مكوثه الطويل في مدينة كاليكوت، يقول فارتيما: "ورغبة مني في الهروب من كاليكوت فكرت أنه لا يمكن خداع أهالي المدينة وملوكها إلا بالنفاق، فالمسلمون هم أغبى شعوب العالم (تعبير ينم عن حقد وتعصب شديد، مع أن رفيقه خواجه ذو النور وأهالي هذه المناطق من المسلمين قدموا له خدمات جليلة)، فتنكرت حتى أكون قادرًا على الحديث بانتظام مع المسيحيين لأنهما يعرفان كل الأحداث يومًا بيوم من بلاط ملك كاليكوت، وبدأت بالفعل أضع خطتي في النفاق والخداع موضع التنفيذ"[139].

وهكذا استطاع فارتيما الحصول على المعلومات المهمة العسكرية، ثم دبر بعض الأمور في الهروب إلى أسطول البرتغاليين، ونجح بالفعل. ويستحسن هنا ذكر ما كتبه هو بنفسه، يقول: "وأخيرًا فقد تفقدت جيدًا الأسطول الذي جهزه المسلمون بالتنسيق مع ملك كليكوت لخوض الحرب ضد البرتغاليين، فأسرعت بالخروج منها لتنبيه البرتغاليين وتقديم ملاحظات لهم عن استعدادات العدو، ولإنقاذ نفسي من أيدي هؤلاء الكلاب... وبعد وصولي إلى أسطول البرتغاليين، رحب بي نائب ملك البرتغال... وأمسكني من يدي وقادني إلى غرفة لاستجوابي عن شؤون كاليكوت، واحتجزني لأخذ كل ما لدي من معلومات مدة ثلاثة أيام، وقد قدمت لهم كل التفاصيل بالأسطول الذي يجهـزه الأعداء في كليكوت"[140].

ولم يكتف فارتيما بهذا القدر بل طلب من نائب الملك وظيفة عسكرية، فوظفه الأخير بوظيفة

١٣٧- المصدر السابق، ص258.

١٣٨- المصدر السابق، ص261-262.

١٣٩- راجع : **الرحلة**، ص262-263.

١٤٠- المصدر السابق، ص267-268-271-274.

الوكيل التجاري، فظل شاغلا لهذه الوظيفة مدة عام ونصف العام [١٤١]. وشارك خلال مدة عمله جميع الحروب التي شنها البرتغاليون ضد كاليكوت، وكتب تفاصيل هذه الحروب التي قتل فيها أهالي مدينة كاليكوت من المسلمين والهندوس، وتمكن الجيش البرتغالي من الاستيلاء على سفنهم، يصف فارتيما بعض هذه المعارك فيقول: "وما لبث قائدنا يجد في أثر سفينة المسلمين الكبيرة الأخرى، والتي كانت مشتبكة مع إحدى سفننا، وهنا أيضًا دارت معركة قاسية قتل فيها خمسمائة مسلم، وبعد أن تم الاستيلاء على هاتين السفينتين الكبيرتين، دخل باقي أسطول المسلمين المعركة بروح بائسة، فقسمنا سفننا الستة عشر، لوجود بعض سفننا يحاصرها المسلمون بخمس عشرة أو عشرين سفينة... إنه لمنظر مبهج أن ترى الأعمال الفذة لقائدنا، الذي استطاع بسفينة ذات شراعين أن يقيم مذبحة للمسلمين بطريقة يصعب وصفها، ففي وقت من الأوقات كان حول سفينة خمسون سفينة، بعضها بالمجاديف وبعضها الآخر بالأشرعة، وكلها مزودة بالمدافع، لكن ببركة الرب لم يقتل أحد من البرتغاليين، وإن جرح كثيرون لأن المعركة استمرت طوال النهار[١٤٢]... وصبيحة اليوم التالي أرسل قائدنا سفنا ذوات مجاديف وسفنا من ذوات الشراعين على طول الساحل، لإحصاء جثث القتلى، فاتضح أن عدد القتلى في البر والبحر والسفن التي استولينا عليها، ثلاثة آلاف وستمائة، ويجب أن تعلم أن كثيرين آخرين قد قتلوا أثناء الهروب، فألقوا بأنفسهم في البحر..."[١٤٣].

١٤١- المصدر السابق، ص280-286.

١٤٢- **الرحلة**، ص274-275.

١٤٣- المصدر السابق، ص286/ حول هذه الاعتداءات كتب كثيرًا صاحب **تحفة المجاهدين**، ولم يستكن لمواقف الغزاة البرتغاليين الذين أذاقوا المسلمين الويلات والمصائب، بل وأجبروهم على اعتناق النصرانية، ونهبوا ممتلكاتهم، واعتدوا على أعراضهم، وسلبوا تجاراتهم ومجدهم الاجتماعي الكبير، ولندع المصنف نفسه يصف لنا الحالة المأساوية التي وصل إليها المسلمون في ظل الغـزو البرتغالي: "فظلموهم وأفسدوا فيهم وفعلوا فعائل قبيحة شنيعة لا تحصى، من ضربهم والاستهـزاء بهم والضحك عليهم إذا مروا بهم استخفافًا، وجعلهم مراكبهم في محال الماء والوحل، والبصق في وجوههم وأبدانهم وتعطيل أسفارهم خصوصًا سفر الحج، ونهب أموالهم، وإحراق بلادهم ومساجدهم، وأخذ مراكبهم، ووطء المصاحف والكتب بأرجلهم، وإحراقها بالنار، وهتك حرمات المساجد، وتحريضهم على قبول الردة والسجود لصليبهم وعرض الأموال على تـزيين نسائهم بالحلي والثياب النفيسة لتفتن نساء المسلمين وقتل الحجاج وسائر المسلمين بأنواع العذاب، وسب رسول الله جهارًا...ثم إن بغيتهم العظمى وهمتهم الكبرى قديمًا وحديثًا تغيير دين المسلمين وإدخالهم في النصرانية.... " راجع: زين الدين المعبري المليباري المتوفى بعد سنة 991هـ1582م **تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين**، تحقيق محمد سعيد الطريحي، مؤسسة الوفاء،

لاشك أنه كان البرتغاليون تعمدوا قتل المسلمين الأبرياء، وحاولوا بكل الطرق القضاء على نشاطاتهم التجارية والاقتصادية والاجتماعية، وتخفيف تأثيرهم الإسلامي في الثقافة الهندوسية ، وذلك من خلال استبعاد المسلمين من الحياة التجارية والسياسية من خلال العمليات العسكرية المخططة، وبجانب ذلك قام البرتغاليون بإرسال البعثات النصرانية إلى أهالي كاليكوت لاعتناق النصرانية طوعًا أو كرهًا، وفي ذلك يشكر فارتيما البرتغاليين، فيقول: "والحقيقة أن ملك البرتغال يستأهل كل خير، ففي الهند، خصوصًا في كوچن حيث يقوم يوميًا ما بين عشرة أشخاص واثني عشر شخصًا من الوثنيين والمسلمين باعتناق المسيحية من خلال الإغراء والإكراه، فالمسيحية تنتشر يوميًا بفضل هذا الملك، وهذا هو السبب ـ فيما أنا أعتقد ـ الذي يجعل الله ينصر هذا الملك، وسيحقق له النجاح والرخاء في المستقبل"(١٤٤).

وبسبب ما قدم الرحالة فارتيما الخدمات الجاسوسية والعسكرية منح رتبة الفارس وغادر الهند معززًا ومكرمًا من جانب الجيش البرتغالي (١٤٥). وأخيرًا وصل إلى لشبونة بعد ما مر على كثير من المدن والجزر الواقعة على ساحل إفريقيا الشرقي، ودار حول رأس الرجاء الصالح(١٤٦).

ويصف فارتيما مقابلته مع ملك البرتغال لدى وصوله إلى لشبونة: "فقد ذهبت للقاء ملك البرتغال، وعندما وصلت تقدمت لتقبيل يد عظمته الذي أحاطني برعاية فائقة منه، واستبقاني عدة أيام في بلاطه ليسمع مني عن شئون الهند السياسية والاقتصادية والتجارية والاجتماعية والدينية، وبعد بضعة أيام، قدمت له وثيقة الفروسية التي منحني إياها نائبه في الهند، متوسلًا إليه ـ إذا رغب ـ أن يعتمدها ويوقعها بيده ويختمها بختمه، فتناول مني الوثيقة ووقعها بيده ووضع عليها ختمه، وتم تسجيلها في الديوان الملكي، ومن ثم استأذنت فخامته في الرحيل، ووصلت إلى مدينة روما (١٤٧). هنا انتهى فارتيما من تسجيل رحلته.

هذا، وبعد هذه الرحلة العلمية من خلال كتاب الرحالة فارتيما الذي تناول الجوانب العديدة للثقافة الهندية التي رآها في جولاته إلى الهند ودول الشرق الآسيوية. ولاحظت من خلال تحليل ما كتبه

بيروت 1405هـ/ 1985م، ص262-263.

١٤٤- **الرحلة**، ص296.

١٤٥- المصدر السابق، ص287-288.

١٤٦- المصدر السابق، ص289-297.

١٤٧- **الرحلة**، ص298.

عن الهند أن العادات والتقاليد الغريبة والمدهشة التي صادفها هو خلال رحلته في المدن والمناطق التي لم تتأثر بالثقافة الإسلامية بسبب عدم وجود واستقرار الجاليات الإسلامية بصورة كاملة، وأكبر مثال على ذلك منطقة كيرالا وما حولها، والجزر الشرقية من سيلان والملايو وغيرها من المناطق الشرقية التي وصل الإسلام إليها بصورة متكاملة متأخرًا عبر موجات الأعمال التجارية، ولكن من المؤكد أن الإسلام وثقافته في هذه المناطق أي في الشرق الأقصى انتشر مع حركة التجار التي كانت إحدى قنوات الاتصال المهمة حيث نقل التجار المسلمون الكثير من مظاهر الثقافة الإسلامية إلى شعوب هذه المناطق في القرون الأولى.

ونجد أنه لم يذكر العادات والتقاليد العجيبة في المناطق التي كانت تابعة للإمارات الإسلامية مثل الگجرات والكرناتك في غرب جنوب الهند والبنگال في شرق جنوب الهند، وذلك لأن الثقافة الإسلامية أثرت في هذه المناطق تأثيرًا بالغًا فتمكن المجتمع الإنساني من القضاء على البربرية والعادات والتقاليد غير الإنسانية، وليس فقط هذا بل أثرت الثقافة الإسلامية في ميدان العقيدة والدين الذي ظهر في حركات الإصلاح الدينية الهندوسية التي قامت وبدأت في جنوب الهند، فوجد عندهم من ينكر عبادة الأوثان والأصنام، ومن ينكر كذلك الوساطة بين الله وبين عباده، وأكد كثير من الباحثين غير المسلمين على نشأة الحركات الدينية الهندوسية التي قامت تحت تأثير العلماء والصوفية الذين قاموا بنشر الثقافة الإسلامية والأمن والسلام والأخوة في هذه المناطق عبر القنوات العديدة ومن أهمها فتح الزوايا والخانقاوات التي كانت تستقبل أي إنسان يريد أن يلجأ إليها مسلمًا كان أم هندوسيًا. وينبغي هنا ذكر بعض المقتطفات من كتاب المفكر الهندوسي تارا چند الذي تناول هذه الموضوعات بدقة بالغة، فيكتب حول إسهامات المصلحين الهندوس في تطوير الدين والعقيدة الهندوسية فيقول: "إن الإسلام في بداية الأمر بدأ يؤثر في الديانة الهندوسية تدريجيًا وبطريقة غير مباشرة، ومن خلال الرصد التاريخي نستطيع أن نحدد أن التغييرات التي حدثت في الديانة الهندوسية لم تكن بسبب الدراسات الإسلامية، إنما كانت بسبب الصوفية وإقبال الناس إلى زواياهم وخانقاواتهم لمشاهدة أعمالهم الدينية والروحية والإصلاحية ومن خلال الاستماع إلى كلامهم الديني (١٤٨). وهو الأمر الذي دفع المفكرين الهندوس ورجال الدين إلى إصلاح المجتمع الهندوسي من خلال إنشاء الخانقاوات الهندوسية بجانب الخانقاوات الإسلامية، وظهر كثير من

١٤٨- See Tara Chand: Influence of Islam, P. 108

المصلحين في جنوب الهند، ويؤكد الباحث نفسه على وجود صلة قوية بين تعاليم الحركة البهكتية وبين الإسلام خصوصًا الصوفية، مع الإشارة إلى تأثير الفكر الإسلامي بوضوح في هذه الحركات الهندوسية الفكرية والإصلاحية، ومن أمثلة ذلك، تـزايد الدعوة إلى التوحيد، والعبادة العاطفية، وإخضاع النفس وتعظيم المعلم، والقضاء على نظام الطبقات الجائر، وقلة الاكتراث بالطقوس الدينية، وقد تأثر بها غالبية المصلحين الدينيين في عصر سلطنة دهلي وما بعدها(١٤٩).

وقد ذكر الباحث المنصف في مكان آخر أهم التيارات والحركات الدينية التي تأثرت بالأفكار الإسلامية والتي استنكرت عبادة الأصنام، وأنكرت الكهنة، وطالبت برؤية العروس قبل الزواج، وأنكرت زواج الأطفال، وكان الطلاق حرامًا مغلظًا عندها، وأوصت بتزويج الأرامل من الرجال والنساء، وسنت القوانين بدفن الموتى بدلا من حرقهم، والمحاولة الجادة للقضاء على نظام الطبقات الجائر، والدعوة إلى المساواة والعدالة الاجتماعية(١٥٠).

وانطلاقا مما سبق نستطيع أن نرى تأثيرًا للعقلية الإسلامية وشريعتها وفكرها في أخلاق وأفكار المجتمع الهندوسي وما أخذه من الفكر الإسلامي وطبقه في شريعته وفكره وحركته الإصلاحية، بداية من التوحيد ونزعات الاحترام للمرأة وحقوقها والاعتراف بمبدأ المساواة بين طبقات البشر إلى غير ذلك مما سبق إليه الإسلام وامتازت به شريعته وفكره، ولولا هذه المنشآت الدينية وقيام الصوفية بفتح زواياهم وخانقاواتهم على جميع الشعب الهندي وإسهاماتهم في نشر الثقافة الإسلامية لما انتشر الإسلام ولا ثقافته وفكره في المجتمع الهندوسي.

١٤٩- Ibid, P. 84-109

١٥٠- Ibid, P. 118-119

نتائج عامة

يمكن تلخيص النتائج التي توصل إليها البحث خلال هذه الرحلة العلمية:

1- أوضح المبحث الأول بدايات الرحلات العربية والغربية الأولى إلى الهند، مشيرًا إلى الصلات التجارية والاقتصادية بين العرب والهند وذلك منذ بداية عملية الرحلات والاكتشاف، مبينًا الأدوار التي كانت تقوم بها كل من الهند والعرب في توصيل خيرات الهند إلى الشرق والغرب على السواء. عارضًا للظروف السياسية والتجارية ومن أهمها الفتوحات الإسلامية التي أدت إلى ترسيخ العلاقات الثقافية والدينية والسياسية والتجارية والاقتصادية بين الطرفين، مبينًا المدن التي نشأت إثر هذه الفتوحات والتي استقرت فيها الأسر العربية التي قامت بدور محوري في نشر الدين الإسلامي والقضاء على الجهل والعادات والتقاليد غير الإنسانية. وناقش هذا المبحث أيضًا قضية معرفة الهنود بركوب البحر وعن علوم البحار، مشيرًا إلى عملية نقل الآداب الهندية من الجغرافية والفلكية إلى الخلافة الإسلامية، مؤكدًا على دور هذه الآداب في تقوية معرفة الرحالة المسلمين من العرب والفرس بعملية الرحلات والاكتشافات، والقيام بإسهامات جليلة في تدوين الآداب الجغرافية التي كانت تساعد الخلافة الإسلامية على ترسيخ الدولة الإسلامية سياسيًا واقتصاديًا وتجاريًا وثقافيًا ودينيًا.

2- تناول المبحث الثاني الرحالة العرب الذين زاروا الهند في رحلاتهم البرية والبحرية، فألقى نظرة سريعة على كل من الرحالة سليمان التاجر وزيد حسن السيرافي، وأبي دولف مسعر بن مهلهل الخزرجي، وبزرگ بن شهريار هرمزي، والإصطخري، وابن حوقل، والمقدسي، والبيروني وابن بطوطة، مشيرًا إلى أعمالهم والتعريف بها، عارضًا لما قدمت هذه الأعمال الجغرافية والمعرفية للرحالة العرب وغير العرب في المعرفة بالرحلات إلى الهند والدول الآسيوية.

3- ناقش المبحث الثالث قضية سقوط السيادة البحرية الإسلامية وعواملها، عارضًا للدوافع التي ساعدت الغرب على الانطلاق إلى الاطلاع والمعرفة والاكتشافات في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، مشيرًا إلى دور الرحالة الغربيين من البرتغال في كشف أمريكا، وكشف الطريق إلى الهند لضرب الدول الإسلامية سياسيًا واقتصاديًا وتجاريًا. وتناول هذا البحث أيضًا الدوافع الاقتصادية والسياسية والتجارية والاقتصادية والدينية التي دفعت الدول الغربية إلى الدخول في مغامرات في الطريق إلى الدول الشرقية ومنها بالدرجة الأولى الدول العربية وفارس والهند

والصين والدول الآسيوية الجنوبية، مشيرًا إلى بعض أهم الرحالة البرتغاليين والإيطاليين والفارسيين الذين وصلوا إلى الهند قبل الرحالة فارتيما، وذلك بغية الحصول على المعلومات السياسية والاقتصادية أو تقوية العلاقات الدبلوماسية مع بعض الإمارات الإسلامية الهندية.

4- تناول المبحث الرابع حياة الرحالة فارتيما ومسقط رأسه وتعريفه وتعريف عمله المطبوع، مشيرًا إلى كيفية بدايته في الرحلة إلى الشرق، عارضًا لبداية رحلته من البندقية قاصدًا إلى الإسكندرية ولزيارته لكل من القاهرة و سوريا، ثم تناول المبحث كيفية دخوله إلى مكة والمدينة، مشيرًا إلى نشاطاته في هذه الأماكن حتى خروجه إلى ميناء جدة مع الإشارة إلى وصوله إلى كل من اليمن والخليج العربي ثم إلى فارس التي قابل فيها صديقه الذي صاحبه في رحلته إلى الهند.

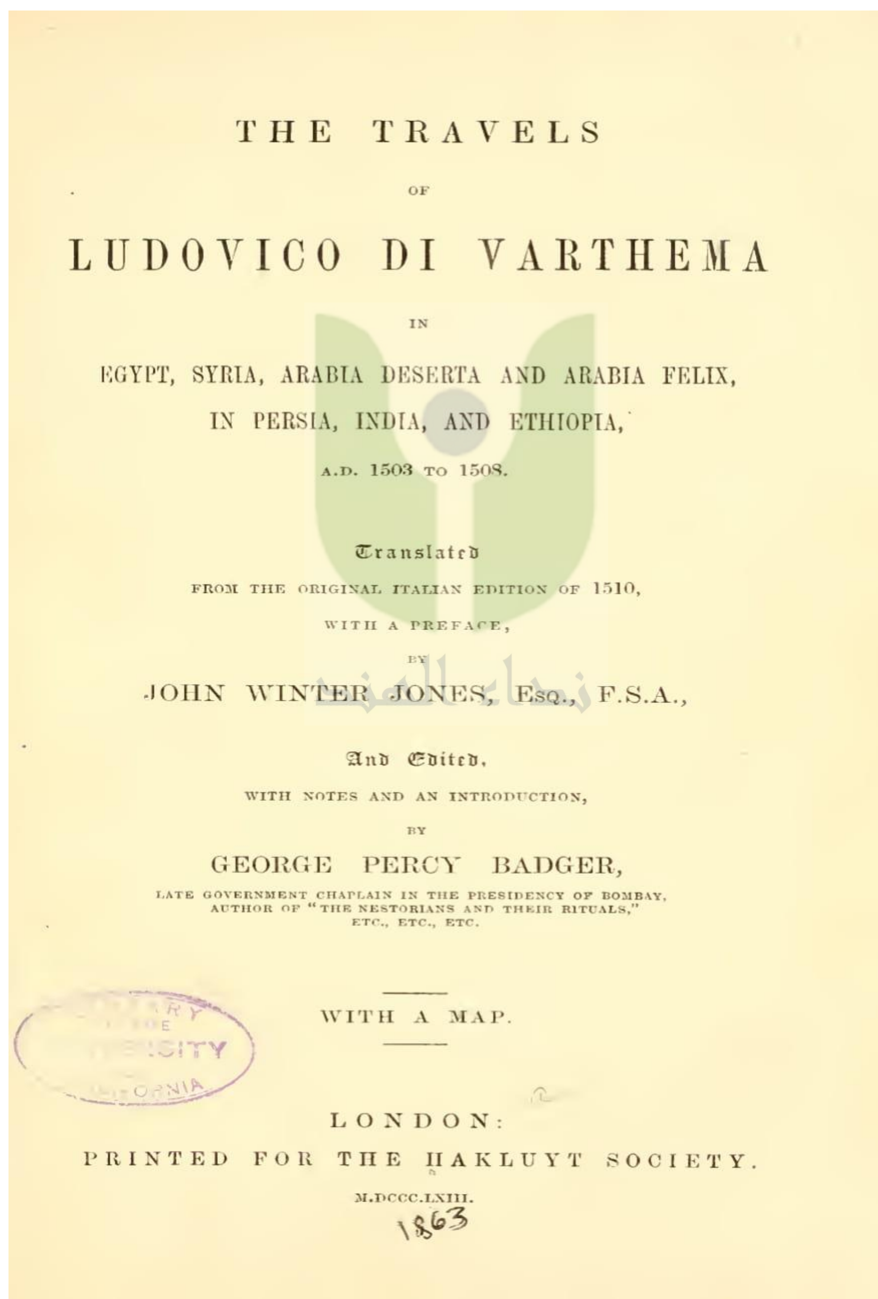
5- تناول المبحث الرابع حول كتابه الأول المتعلق بالهند، زيارة فارتيما إلى المناطق الهندية الجنوبية الغربية، والتي زار فيها الرحالة المدن والإمارات الإسلامية، وسطر في كتابه عن أوضاع هذه المدن والإمارات الإسلامية والهندوسية وحضارتها وثقافتها وعلاقاتها بعضها مع بعض.

6- أما الكتاب الثاني فألقى البحث نظرة فيما يتعلق برحلة فارتيما إلى جنوب الهند، خصوصًا مدينة كاليكوت، موضحًا بما كتب عنها الرحالة حول الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، بجانب المناقشة حول ما كتبه الرحالة حول الغرائب والعجائب التي صادفها في رحلته الطويلة.

7- وألقى الكتاب الثالث الضوء على ما كتبه الرحالة في جولته الثالثة والأخيرة للمناطق الهندية وخارجها، مشيرًا إلى وصوله إلى منطقة شرق جنوب الهند من البنغال وسيلان ثم وصوله إلى جزر شرق آسيا، عارضًا لما تناوله الرحالة من العجائب والغرائب والأوضاع السياسية والدينية والثقافية والتجارية والزراعية لهذه الجزر، مع الإشارة إلى العجائب والغرائب التي شاهدها الرحالة في هذه الرحلة الأخيرة. موضحًا كيفية عودته من هذه الرحلات إلى مدينة كاليكوت، مبينًا الدوافع التي أدت بالرحالة فارتيما إلى الانضمام إلى الجيش البرتغالي للمحاربة ضد التجار المسلمين في كاليكوت، ثم يفسر هذا الكتاب دور فارتيما في الجيش البرتغالي قبل وبعد انضمامه إليه، مبينًا خدماته للجيش البرتغالي في العمليات العسكرية ضد أهالي كاليكوت إلى أن يغادر فارتيما متوجهًا إلى البرتغال عبر الجزر الإفريقية، ثم يختم البحث بمقابلته مع ملك البرتغال والذي منحه وثيقة الفروسية، إلى أن عاد الرحالة إلى مسقط رأسه أي إيطاليا.

ملاحق

صورة الغلاف لكتاب ڤارتيما


THE TRAVELS

OF

LUDOVICO DI VARTHEMA

IN

EGYPT, SYRIA, ARABIA DESERTA AND ARABIA FELIX,
IN PERSIA, INDIA, AND ETHIOPIA,
A.D. 1503 TO 1508.

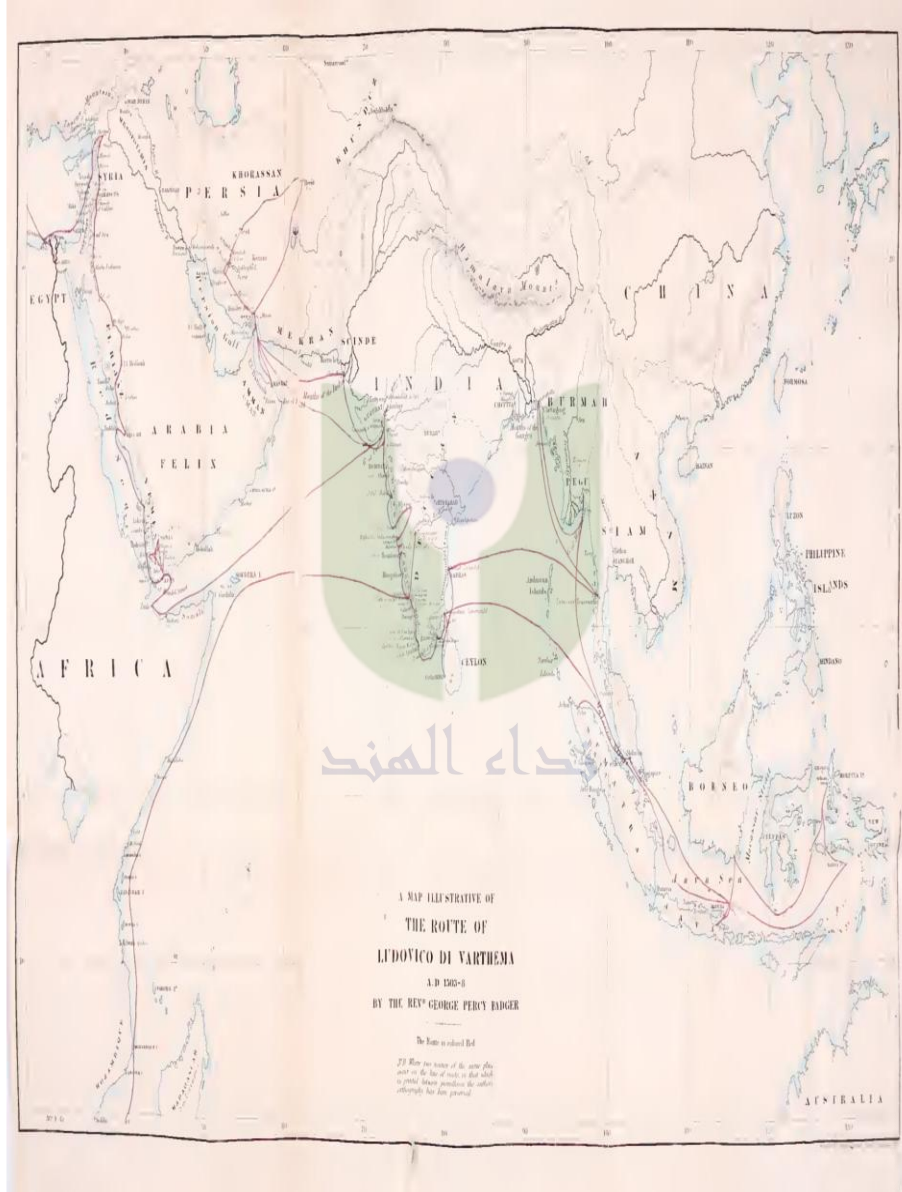
Translated
FROM THE ORIGINAL ITALIAN EDITION OF 1510,
WITH A PREFACE,
BY
JOHN WINTER JONES, Esq., F.S.A.,

And Edited,
WITH NOTES AND AN INTRODUCTION,
BY
GEORGE PERCY BADGER,
LATE GOVERNMENT CHAPLAIN IN THE PRESIDENCY OF BOMBAY,
AUTHOR OF "THE NESTORIANS AND THEIR RITUALS,"
ETC., ETC., ETC.

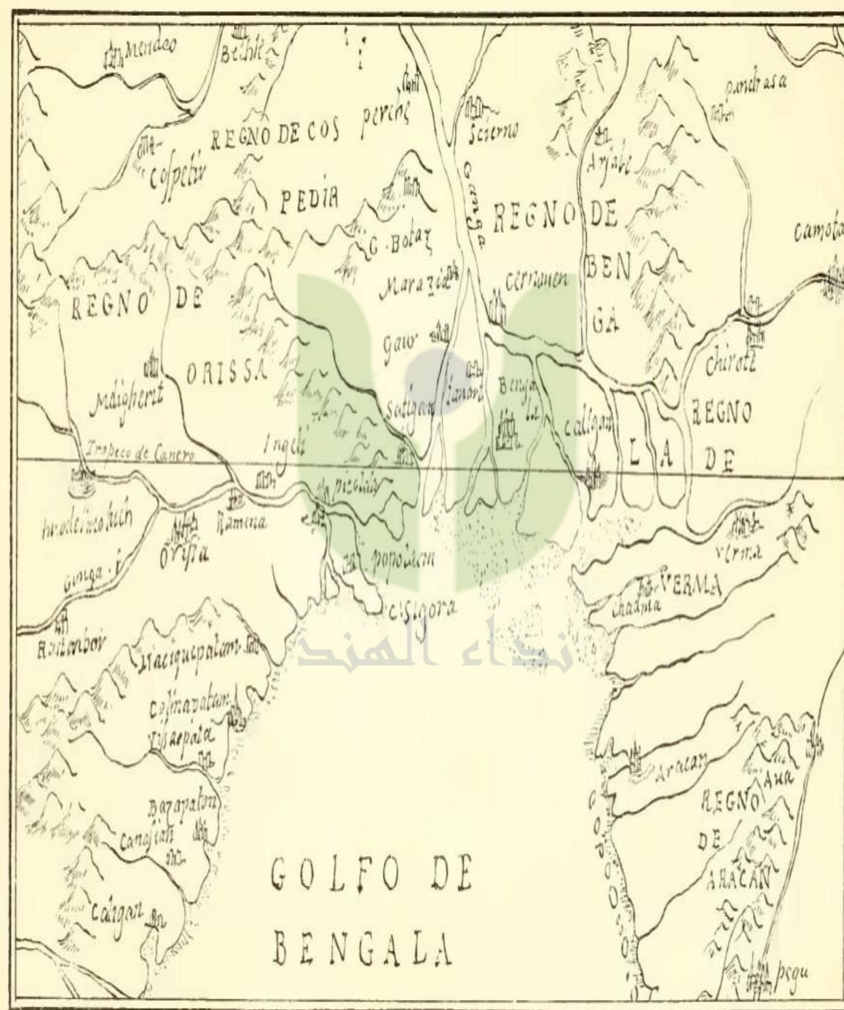
WITH A MAP.

LONDON:
PRINTED FOR THE HAKLUYT SOCIETY.
M.DCCC.LXIII.
1863

تصف هذه الخريطة مسار رحلة ڤارتيما إلى الشرق الأوسط
والجزيرة العربية والهند ومناطق جنوب آسيا



خريطة لقارة آسيا في عام 1561م رسمها جياكومو غاستالدي (Giacomo Gastaldi) المتوفى عام 1566م، وكان جياكومو رسامًا للخرائط وفلكيًا ومهندسًا عاش في إيطاليا في القرن السادس عشر الميلادي. ويوجد نسخة لتلك الخريطة في ثنايا كتاب ڤارتيما.



SECTION FROM GASTALDI'S MAP OF ASIA, A.D. 1561.


نداء الهند